مجلة جامعة النجاح للأبحاث، (العلوم الإنسانية)، المجلد ١٩ (٤)،٢٠٠٥

وصايا الآباء في الشّعر الجاهليّ والإسلامي
Parents Wills in Pre-Islamic and Islamic Poetry

فتحي خضر
قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين
بريد الكتروني : abutamer1953@yahoo.com
تاريخ التسليم : (٢٠٠٤/٩/١١) ، تاريخ القبول : (٢٠٠٥/٥/١٥)

ملخص

يأمُلُ هذا البحثُ أَن يُظهر عناية الشّعراء الآباء في العصر الجاهليّ بتربية أَبنائهم، والسّمو بهم، وغَرْس القيم السّلوكيّة العُليا في نفوسهم، ليَظْهَر كلّ واحد من هؤلاء الأَبناء أَمام مجتمعه بصورة الرّجل الكريم، وهي الصّورة، التي كان العربيّ – وما يزال – يحرص عليها. لعلّني أستطيع من خلال هذا المأمول أن أُقدّم أَهمّ القيم التّربويّة التي وجّهتْ تفكيرهم، وحَرَصوا على بثّها في نفوس أبنائهم، ليصنعوا منهم رجالاً أَفذاذا.

Abstract

This research endeavors to highlight the care that parent poets during the Jahilyia period showed for the upbringing of their children. Parent poets sought to foster higher values within the personalities of their children so that their children would represent the generous values of the society that the Arab at that time cared to preserve. I hope that I will be able through this study to introduce the most important educational values that the Jahilyia poets cared to charge their children with, making of them outstanding men and women.

مقدّمة

يُطلعنا هذا التّراث الشّعريّ على الأنماط السّلوكيّة، التي كانت سائدة في العصر الجاهلي، وعلى رؤية المجتمع للأدب على أنّه "وسيلة لتطهير النّفس، وتهذيب الخُلُق"[١]، إذ ليس ثمّة غاية للأدب أسمى وأجلّ من صقل النّفوس، وتهذيبها، وبثّ القيم السّلوكيّة العُليا في نفوس مُتَلقّيه.

لقد فَهِمَ الشّاعر الجاهليّ الأدب على أَنّه رسالة سامية، تقوّم بما فيها من قيم نفسيّة وأخلاقيّة وإنسانيّة، على نحو ما نطالع هذه الرّؤية في قول حسان بن ثابت[٢]:

لـــكَ الخيـــرُ، غُضّـــي اللّـــومَ عنّـــي، فإنّني ... أُحـــبُّ مـــن الأخـــلاقِ مـــا كـــان أجـــملا
ألـــم تعلمـــي أنـــي أرى البُـخْـــلَ سُـــبَّـــةً ... وأبـــغـــضُ ذا الـلّـــوْنَـــيـــن والمـتـــنـــقّـــلا

وبهذه الرّؤية للأدب يكون الكلاسيكيون قد رأوا عند الشاعر الجاهلي بغيتهم إلى استخدام الأدب في تصوير الفضائل النّبيلة، وفي هذا يقول مُنظّر الكلاسيكيّة، النّاقدُ الفرنسيُّ "بوالو": "لا تقدّموا نفوسكم و عاداتكم في أعمالكم الأدبية إلاّ في صورة نبيلة"[٣].

لقد كان الشّاعر الجاهليّ "مُعلّم القبيلة ومُرْشدها"[٤]، فقد حَرَص في إطار مَهمّات الشّعر التّربويّة على نشر القيم والمُثُل، التي تشكّل الشخصيّةَ المثاليّةَ، كما يراها المجتمع[٥].

وكان هذا التّراث الشّعري الجاهليّ - بما حوى من قيم سلوكيّة ومُثُل عُليا - مادّة التّأديب في ذلك العصر، وظلّتْ له منزلة رفيعة بين موادّ التّأديب الأُخرى في العصور الإسلامية. فعمَرُ بْنُ الخطّاب، رضي الله عنه، كان يدرك قيمةَ الشّعر التّربويةَ، وأهدافَهُ السّلوكيةَ، مما جعله يكتب إلى أبي موسى الأشعري[٦]: "مُرْ من قِبَلكَ بتعلّم الشّعر، فإنّه يدلّ على معالي الأخلاق، وصواب الرّأي، ومعرفة الأنساب". وتوجيهاتُ عُمَرَ تدلّ على فَهْم عميق، لدَوْر الشّعر في صقل النّفس والسّمو بها، فيؤكّد هذا المعنى بقوله[٧]: "تحفّظوا الأشعار، وطالعوا الأخبار، فإنّ الشّعر يدعو إلى مكارم الأخلاق، ويعلّم محاسن الأعمال، ويبعث على جميل الأفعال، ويشحذ القريحة، ويحدو على ابتناء المناقب، وادّخار المكارم، وينهى عن الأخلاق الدّنيئة، ويزجر عن مواقعة الرِّيَب، ويحضّ على معالي الرّتب".

حِرْص الشّاعر الجاهليّ على تربية الأبناء

يدلّ ما بين أيدينا من شعر جاهليّ دلالة قاطعة على عناية الشّعراء الجاهليّين بتربية أبنائهم، وصَقْل نفوسهم، وغَرْس القيم السّلوكيّة فيها. وتأخذ هذه التربيةُ شَكْل وصايا شعرية يصدرها الآباء إلى الأبناء، بعد أن بَلوا الحياة وخبروها، وامتلأتْ جعابهم بتجاربَ إنسانية، فينقلون هذه التجاربَ إلى الأبناء، ويغلب على هذه الوصايا أن تكون عند إحساس الشّاعر بدنوّ الأَجَل، على نحو ما نجد ذلك في وصايا ذي الإصبع العدواني[٨]، وعبد قيس بن خُفاف البُرْجُميّ[٩]، وعمرو بن الأهتم[١٠]، وقيس بن عاصم المِنْقَريّ[١١]، وصِرْمَة بن أبي أنس[١٢]، وعَبَدَة بن الطّبيب[١٣]، وغيرهم، وهي وصايا طويلة، حَرَص كلّ واحد من هؤلاء الشّعراء على أنْ يرسم لابنه أو أبنائه صورة البطل الكامل، والإنسان الأُنموذج، وهذا كلّه "يدلّ دلالة قاطعة على عناية هؤلاء القوم بتربية أبنائهم، وحرصهم على السّموّ بهم"[١٤].

وصرّح كثير من الشّعراء بأنّ تلك القيم الأخلاقيّة التي يتحلّوْن بها قد تلقّوها مباشرة عن آبائهم. وتأتي هذه الوصايا مقرونة بصيغ الأَمْر، أو ما يشبهها، ليتمسّك بها الأبناء.

وها هو أعشى بني طرود يفخر بأوامر أبيه التي جعلتهُ يحوز المكارم، قال[١٥]:

إنّي حَوَيْتُ على الأقوامِ مكرمةً ... قِدْماً وحذّرني ما يتّقون أبي
وقال لي قَوْلَ ذي عِلْمٍ وتجربةٍ ... بسالفاتِ أُمور الدّهر والخُطب:
أَمرتُكَ الخيرَ فَافْعَلْ ما أُمِرتَ بِه ... فقد تركتُكَ ذا مالٍ وذا نَسَبِ
وَاتْرُكْ خلائقَ قومٍ لا خلاقَ لهم ... واعمِدْ لأخلاقِ أهل الفضلِ والأدبِ
وإنْ دُعيتَ لغدرٍ أو أُمرتَ به ... فاهرِبْ بنفسكَ عنه أيَدَ الهربِ

ويزهو مالك بن حريم الهمدانيّ بجوده الذي تلقّاه وصايا من أَبيه، يقول[١٦]:

أَجودُ على العاني، وأحذرُ ذَمَّهُ ... إذا ضنّ بالمعروف كلُّ بخيلِ
بذلك أوصاني حَريمُ بنُ مالكٍ ... بأنّ قليلَ الذمِّ غيرُ قليلِ

ويفخر الأعشى؛ ميمون بن قيس، بأنّه كان متسامياً في حياته، عاش بين وصيّتين؛ واحدة ورثها عن أَبيه، وثانية ورّثها لابنه. وقد كثّفتْ الوصيّة الأولى نظرة أبيه إلى الحياة[١٧]:

إنّ الأعزَّ أبانا كان قال لنا: ... أُوصيكُمُ بثلاثٍ إنّني تلفُ
الضّيفَ أوصيكُمُ بالضّيف إنّ له ... حقّا عليّ فأُعطيه وأعترفُ
والجارَ أوصيكُمُ بالجار إنّ له ... يوماً من الدّهر يثنيه فينصرفُ
وقاتلوا القوم إنّ القتلَ مكرمةٌ ... إذا تلوّى بكفّ المعصَمِ العُرُفُ

لقد سجّل الأعشى باعتزاز كبير ما تلقّاه عن أبيه من وصايا تحضّ على إكرام الضّيف، وحفظ الجار، والاستبسال في القتال.

أما وصيّة الأعشى لابنه فقد كثّفتْ نظرته إلى الحياة من خلال حكمة الشيخوخة[١٨]:

سأُوصي بَصيرا إنْ دنوتُ من البلى ... وصاةَ امرئٍ قاسى الأُمورَ وجرّبا
بأنْ لا تُبَغِّ الوُدّ من متباعد ... ولا تَنْءَ عن ذي بِغْضَةٍ إنْ تقرّبا
فإنّ القريبَ من يقرّبُ نفسَهُ ... لَعَمْرُ إبيكَ الخيرَ لا مَنْ تنسّبا
ويحْطَمْ بظلم لا يزال يرى له ... مصارعَ مظلومٍ مَجَرّا ومَسْحَبا
وتدفنُ منه الصّالحاتُ وإنْ يُسئْ ... يكنْ ما أساء النّارَ في رأسِ كوكبا
وليس مُجيرا إنْ أتى الحيَّ خائفٌ ... ولا قائلا إلاّ هو المتعيّبا

فقد أَوصى ابنه بَصيراً بألاّ يلتمس الوُدّ ممّن يتباعد، وإنْ قَرُبَتْ قرابته، ولا ينأى عن المتودّد المتقرّب، وإنْ سبقتْ عداوته. وليس القريب مَنْ تربطك به صلة النّسب، ولكنّ القريب الحقّ مَنْ قرّب نفسه بالوُدّ، وأَخلصه.

ويشكو الأعشى من فساد العلاقات الإنسانية، فهو في زمن لا يرعى فيه أَحَدٌ قرابةً ولا نَسَبا، يغترب

المرء عن أهله، فإذا هو وحيد بين قوم يعتزون بأنصارهم من رهطهم، لا يجد مَنْ يغضب له، أو ينصره إذا خاصم أحدهم ... فَهُمْ يَدٌ واحدة عليه، يحطمونه بجَوْرهم، ولا يزال كلّ يوم صريع ظُلْم جديد، يتقاذفه القوم جزًا وسحبا.

ويطلعنا عبد قيس بن خُفاف البُرجميّ على أنّ جود حاتم الطّائي كان استجابة لوصايا أبيه وأجداده. وآية ذلك أنّه أتى حاتما الطّائيّ في دماء حملها عن قومه، فأسلموه فيها، وعجز عنها، فقال: واللّه لآتينّ مَنْ يحملها عنّي، وكان شريفا شاعرا، فلمّا قدم عليه قال: إنّه وقعتْ بيني وبين قومي دماء فتواكلوها، وإنّي حملتُها في مالي وأَملي، فقدّمتُ مالي، وكنتَ أَملي، فإن تحملْها فرُبّ حقّ قد قضيتَهُ، وَهَمٌّ قد كفيتَهُ، وإنْ حال دون ذلك حائل لم أَذْمُمْ يومك، ولم أَيْأس من غدك، ثمّ قال[١٩]:

حَمَلْتُ دماءَ للبراجم جمّةً ... فجئتُكَ لمّا أسلمتْني البَراجمُ
وقالوا سِفاها: لِمْ حَمَلْتَ دماءَنا؟ ... فقلتُ لهم: يكفي الحمالةَ حاتمُ
متى آتِهِ فيها يَقُلْ لي مرحبا ... وأهلاً وسهلا أخطأتْكَ الأشائمُ
فيحملها عنّي، وإنْ شئتُ زادني ... زيادةَ مَنْ حلّتْ عليه المكارمُ

إلى أن يقول:

بذلك أوصاهُ عديٌّ وحَشْرَجٌ ... وسَعْدٌ وعبد اللّه تلك القماقمُ

فقال له حاتم: إنْ كنتُ لأُحبُّ أن يأتيني مثلُكَ من قومك، هو ذا مِرْباعي من الغارة على بني تميم، فَخُذْهُ وافرا، فإنْ وفّى بالحمالة، وإلاّ أكملتُها لك، وهو مئتا بعير سوى نيبها وفِصالها[٢٠].

أهمّ القيم السّلوكية التي أوصى بها الآباء أبناءهم

اقتضتْ حكمة الله تعالى أن يبعث الأنبياء الكرام، ليرسموا للبشريّة طريق الحقّ والهداية، وليصحّحوا خطّ سَيْر البشريّة بعد انحرافه عن مسلك التّوحيد، الذي كان يشكّل سِمَةً واضحة في دَعَوات الأنبياء، وركنا أساسيًا من الأركان التي قامتْ عليها الرّسالات.

وكان الموحّدون يشكّلون قاعدة الانطلاق، التي أَخذتْ على عاتقها مسؤولية الاستعداد الفكريّ لتقبّل الحدث العظيم، واستقبال الرّسالة الإسلاميّة.

ويحدّثنا ابن هشام عن طائفة من هؤلاء الموحّدين، الذين كانوا ينتشرون في مكّةَ وأنحاءٍ أُخرى من الجزيرة[٢١]، وقد انطبعتْ في أَذهانهم فكرةُ عبادة الإله الواحد، فكانوا يسخرون من الأصنام وعبادتها، ويترفّعون عن تقديسها.

وها هو صِرْمَةُ بْنُ أَبي أَنَسٍ، الذي ترهّب في الجاهليّة، ولَبِسَ المُسوحَ، يضع لأَبناء عصره دستورا

خُلُقيا صاغه من القيم الدّينية والاجتماعيّة، ويحثّهم على الإيمان باللّه، وبرّ الوالدين، والتقوى[٢٢]:

يقول أبو قيس وأصبح غاديا؛ ألا ما استطعتُمْ من وَصاتي فافعلوا
فَأُوصيكُمُ باللّه والبرّ والتّقى وأعراضِكُمْ والبرّ باللّه أوّلُ

وكان لهذا الاتّجاه التوحيدي أثر في السّلوك العام وضَبْط إيقاع الحياة، فنراه يُطلّ على أبنائه، وأبناء مجتمعه بوصايا أُخَرَ، يدعوهم فيها إلى صلة الأرحام، وتقوى الله، وعدم أكل مال اليتيم، ويحذّرهم من صروف الدّهر، ويدعوهم إلى أن يُجمعوا أمرهم على البرّ والتقوى، ويبثُّ فيهم قيم التّوحيد[٢٣]:

يا بَنيّ، الأرحامَ لا تقطعوها وَصِلُوها قصيرةً من طِوالِ
واتّقوا اللّه في ضعاف اليتامى ربّما يُستحلّ غَيْرُ الحلالِ
واعلموا أنّ لليتيم وَليّا عالماً يهتدي بغير السّؤالِ
ثُمّ مالَ اليتيم لا تأكلوه إنّ مال اليتيم يرعاه والي
يا بَنيّ الأيامَ لا تأمنوها واحذروا مَكْرَها ومَرَّ الليالي
واجمعوا أمركم على البرّ والتّقـ ـوى وترك الخنا وأخذ الحلالِ

ويدلّ ما بين أيدينا من شعر جاهليّ على أنّ هذه الصّفوة المفكّرة قد آمنَتْ بالله ربّا، وأنّهم كانوا يتوجّهون بالتقرّب إليه، وانطلقوا يحثّون أبناءهم وأبناء مجتمعهم على التمسّك بهذه القيم، قال خَداش بن زهير موصياً أبناءه[٢٤]:

رأيتُ اللّه أكبرَ كلّ شيء مُحاولةً وأكثرهم عديدا
تَقُوهُ أيّها الفتيانُ إنّي رأيتُ اللّه قد غَلَبَ الجدودا
وأبرح ما أدام اللّه قومي بحمد اللّه منتطقا مجيدا

وكانت أوّل وصيّة أوصى بها عَبْدُ قيس بن خُفاف البُرجميّ ابنه جُبَيْلا تقوى الله، لأنّها المعيار الأخلاقيّ الأسمى، الذي يجعل المرءَ يشعر بالسّعادة[٢٥]:

اللّهَ فاتّقِهِ وأَوْفِ بنذرِهِ وإذا حَلَفْتَ مُماريا فتحلّلِ

وأوصى عَبَدَةُ بنُ الطّبيب أَبناءه بتقوى الله، وبرّ الوالدين[٢٦]:

أُوصيكُمُ بتُقى الإله فإنّه يُعطي الرّغائبَ مَنْ يشاءُ ويمنَعُ
وببرّ والدكم وطاعةِ أَمْرِهِ إنّ الأبَرّ من البنينَ الأَطْوَعُ

ولم يجدْ أَعشى باهلة ما يوصي به ابنه خيراً من تقوى الله، لأنّها خير زاد[٢٧]:

عليكَ بتقوى اللّه في كُلّ إمْرَةٍ تجدْ غبّها يوم الحساب المطوّلِ
ألا إنّ تقوى اللّه خَيْرُ مَغَبّةٍ وأفضلُ زاد الظّاعنِ المتحمّلِ

ولا خَـيْـــرَ فـي طـول الحيـــاة وعَرْضِهـا إذا أنـــت مـنـهـــا بـالـتّـقـى لـم تَرَحّلِ

ويدعو أُميّةُ بْنُ أبي الصّلْت أبناءه وأبناء مجتمعه إلى تطهير النّفس من النوازع الشرّيرة، وينْهاهم عن خلط الخبيث بالطيّب ويخاطبهم قائلاً[٢٨]:

لا تـخلطَـنَّ خـبيثـات بـطـيّـبـة وَاخْـلَـعْ ثيـابـك منهـا وَانـجُ عُرْيـانـا
كُـلُّ امـرئ سـوف يجـزى قَرْضَـه حَسَـنا أو سَـيّئـا ومـديـنـا كـالـذي دانـا

ويبدو أنّ الاتّجاه التّوحيديّ، الذي عرفتْهُ الجزيرة العربيّة، قد ترك أثراً واضحاً في نفوس أبناء المجتمع في عصر ما قبل الإسلام، ونلمس هذا الأثر فيما أوْصَتْ به سُبَيْعَةُ بنتُ الأَجَبّ ابنها خالدا، إذ شَرَعتْ تبيّن له مكانة مكة وحرمتها، وتأمره بالابتعاد عن الظلم والبغي فيها، موضّحة له ما سيؤول إليه أمر الظالم، ضاربة المثل بتُبّع وما حلّ به[٢٩]:

أَبُـنَـيّ، لا تـظـلـمْ بـمـكّـة لا الـصّـغـيـرَ ولا الـكـبـيـرْ
واحـفـظْ مـحـارمـهـا بُـنَـيَّ ولا يَـغُـرَّنْـكَ الـغـرورْ
أَبـنـيَّ مَـنْ يـظـلـمْ بـمـكّـةَ يَـلْـقَ أطـرافَ الشّـرورْ

إلى أن تقول:

ولـقـد غـزاهـا تُـبّـعٌ فـكـسـا بـنـيّـتـهـا الحـبـيـرْ
وأذلّ ربـيّ مُـلْـكَـهُ فـيـهـا وأوفـى بـالـنّـذورْ

فهذه السيّدة الفاضلة تبيّن لابنها مكانة مكّة وحُرْمَتَها، وتأمره بالابتعاد عن الظّلم والبغي فيها، موضّحة له ما سيؤول إليه أَمْرُ الظالم، ضاربةً المثلَ بتُبّعٍ وما حلّ به.

وقد دفعهم إحساسُهم اليائسُ من ردّ الموت والوقوف إزاءه إلى الحثّ على مواجهته بالتّرحاب، فها هو عبيد بن الأبرص يوصي بنيه وأعمامه، حيث تقدّمتْ سنّه، فلم يَعُدْ للحياة كبير معنى عنده، ولذا استوت الحياة والوفاة عنده، يوصيهم قائلاً[٣٠]:

فـأَبْـلـغْ بَـنـيّ وأَعْـمـامَـهُـمْ بـأنّ المـنـايـا لَـهُـمْ راصـدةْ
لـهـا مُـدّةٌ فـنـفـوسُ العبـاد إلـيـهـا وإنْ جَـهَـدوا قـاصـدة
فـواللـهِ إنْ عـشـتُ مـا سـرّنـي وإنْ مـتُّ مـا كـانـت الـعـائـدةْ

ومما ينبئ باعتقادهم بالبعث والحساب أنّ بعضهم كان يوصي أبناءه بأن يدفنوا معه ناقته كي لا يسير إلى المحشر راجلاً، فيفعلون ذلك، كما قال عمرو بن زيد المتمنّي يوصي ابنه[٣١]:

أَبُـنـيَّ، زوّدْنـي إذا فـارقْـتَـنـي فـي الـقـبـر راحـلـةً بـرحـل قاتـرِ
للبعـث أركبهـا إذا قـيـل: اظـعـنـوا مستوثقيـن مـعـاً لحشـر الحاشـرِ
مَـنْ لا يـوافـيـه عـلـى عَـثَـراتـه فـالخَـلْـقُ بيـن مُدَفّـعٍ أو عـاثـرِ

وكانوا يعتقدون أَنّ الرّجل إذا مات، ولم تربط ناقته على قبره، ليركبها إلى المحشر يوم البعث، حُشر راجلاً، وهذا يدلّ على عقوق الأبناء لآبائهم، أو العشيرة لأبنائها[٣٢]، لذا كان الرجل إذا مات عمدوا إلى راحلته التي ركبها، فيوقفونها على قبره معكوسة، رأسها إلى يدها، ملفوفة الرّأس في وَلِيَّتها، فلا تُعلف ولا تُسقى حتّى تموت، ليركبها إذا خرج من قبره، وكانت تلك النّاقةُ التي يُفعل بها هذا تُسمّى "البليّة"[٣٣]، فقد أَوصى جُرَيْبَةُ بْنُ أَشْيَمَ الفَقْعَسيّ ابنه سَعْدا ألاّ يترك أباه دونما ناقة يركبها إلى المحشر، فخاطبه بقوله[٣٤]:

يا سعدُ، إمّا أهلكنّ فإنّني ... أُوصيكَ إنّ أخا الوصاة الأَقربُ
لا تتركنّ أباكَ يعثُرُ راجلاً ... في الحشر يُصرعُ لليدين وينكبُ
واحملْ أباكَ على بعير صالح ... وَابْغِ المطيّةَ إنّ ذلك أَصْوبُ
ولعلّ لي ممّا تركتُ مطيّةً ... في الحَشْرِ أركبها إذا قيل: اركبوا

وأوصى عُوَيْمر النبّهانيّ ابنه قائلاً[٣٥]:

أَبنيَّ، لا تنْسَ البليّة إنّها ... لأبيكَ يومَ نُشوره مركوبُ

وكان العرب ينحرون على قبور الموتى النّوقَ، ويبلّلونها بالدّم، وربّما كان هذا من الشّعائر الدينيّة والعقائد الجاهليّة التي لها علاقة بأرواح الموتى[٣٦]، فقد أوصى جُرَيْبَة بن الأَشْيَمَ ابنه بأن يعقر مطيّته على قبره، وخاطبه قائلاً[٣٧]:

إذا متُّ فَادْفِنّي بحرّاءَ ما بها ... سوى الأصرخَيْن أو يفوّزَ راكبُ
فإنْ أَنت لم تعقرْ عليّ مطيّتي ... فلا قام في مالٍ لك الدّهرَ حالبُ
ولا تدفنّني في صُوى وادفنّني ... بديمومة تنزو عليها الجنادبُ

وكان إكرام الضّيف من أبرز القيم التي أوصى بها الشّعراء الجاهليّون أَبناءهم، فقد كان أبناء ذلك العصر على حال من العيش تعنف كثيراً، وتلين قليلاً، فما أشدّ اضطرابهم بين العنف الكثير واللّين القليل! كانت صبابات الصّحراء من الرّزق موزّعة توزيعاً فرضتْهُ القوّة، ولم تفرضْهُ الرّحمة. والنّاظر في بِنْيَة ذلك المجتمع يرى فيه أغنياء قَليلين، وفقراءَ كثيرين، وما كانَ ثَمّةَ شِرْعةٌ أو قوّةٌ تأخذ من الغنيّ لتعطيَ الفقيرَ، فكان الفقير لذلك في مرارة وهَوْل، على نحو ما نجد تعبيرا لذلك في شعر الصّعاليك.

ومن رَحِم المعاناة في تلك الفيافي الواسعة وُلدتْ هذه القيمةُ الإنسانيّةُ، وهذا الخُلُقُ النّبيلُ، ليكون مظهراً من مظاهر التّعاون على ظروف حياتهم القاسية، ومن ثَمَّ فَهُمْ معرّضون في أثناء رِحْلاتهم الدّائبة في مجاهل الصّحراء إلى أن يَنْفَدَ ما مَعَهُم من زاد، و"إذا لم يعمل الكرماء على نجدة هؤلاء الذين امتُحنوا بنفاد زادهم، أو ضَلّوا طريقهم، وتقطّعتْ بهم السّبل تعطّلت الحياة في الصّحراء"[٣٨].

لقد كَثُرَ دورانُ وصيّة إكرام الضّيف في الشّعر الجاهليّ، فالكرم في قوم حبيبة بنت عبد العُزّى قيمة خلقيّة، يتواصى بها الآباء والأجداد، قالت[٣٩]:

إنّي وربِّ الرّاقصاتِ إلى مِنى ... بجُنُوب مكّة هَدْيُهُنّ مقلّدُ
أُولي على هُلْكَ الطّعام أليّةً ... أبدا ولكنّي أُبينُ وأنشُدُ
وصّى بها جدّي وعلّمني أبي ... نَفْضَ الوعاءِ وكلّ زاد ينفدُ
فاحْفَظْ حميتَكَ لا أبا لك واحترسْ ... لا تخرقَنْهُ فأرة أو جُدْجُدُ

ويُقري الأسودُ بنُ يَعْفُرَ النّهشليُّ الضّيفَ، التزاماً بوصيّة أبيه[٤٠]:

وإنّي لأُقري الضّيفَ وصّى به أبي ... وجارُ أبي تَيْحانَ ظمآنُ جائعُ

ويوصي عبد قيس بن خُفاف البُرجميّ ابنه جُبَيْلا بإكرام ضيفه[٤١]:

والضّيفَ أكْرِمْهُ فإنّ مبيتَهُ ... حقٌّ، ولا تكُ لُعْنَةً للنّزَلِ
وَاعْلَمْ بأنّ الضّيفَ مُخْبِرُ أهلِهِ ... بمبيتِ ليلته وإنْ لم يُسْأَلِ

فإكرام الضّيف حقّ، لا يجوز التّفريط فيه ولا التّهاون، لأنّ التقصير في هذا الحقّ يُلحق به لعنة مدى الدّهر، ولأنّ الضّيف يُشيع هذه الأخبار بين أهله وأبناء مجتمعه سواء سألوه أم لم يسألوه.

ولإكرام الضّيف عند عمرو بن الأَهْتم بُعْدٌ أخلاقيّ، فيوصي ابنه ربْعيّا بإكرام ضيفه وقت الشدّة، حين يشحّ الزّادُ، ويضنّ الآخرون[٤٢]:

وجاري لا تُهينَنْهُ وضَيْفي ... إذا أمسى وراءَ البيتِ كورُ
يؤوبُ إليك أشعثَ جرّفتْهُ ... عوانٌ لا ينهنهها الفُتورُ
أَصِبْهُ بالكرامة واحتفظْهُ ... عليك فإنّ منطقه يَسيرُ

ويرتبط الجود عند الحارث بن حلّزة بموقف فكريّ مؤدّاه أنّ الإنسان يجب أن يبذل ما لديه للآخرين، لأنّه لا يدري ما سيحدث فيما عنده من المال، فلربّما صار ماله بعد حياته نَهْباً مقسّما بين الوارثين يعيثون فيه. وفي ضوء هذا الفهم خاطب ابنه عمرا وأوصاه بأن يحلب الألبان للأضياف، وألاّ يدّخر شيئاً من ذلك[٤٣]:

قُلْتُ لعمرو حينَ أبصرتُهُ ... وقد حبا من دونها عالجُ
لا تكْسَعِ الشَّوْلَ بأغبارها ... إنّك لا تدري من النّاتجُ
واحلُبْ لأضيافك ألبانها ... فإنّ شرّ اللّبن الوالجُ

إلى أن يقول:

بَيْنا الفتى يَسْعى ويُسْعى لَهُ ... تاحَ لَهُ من أمره خالجُ
يترُكُ ما رقّح من عيشه ... يعيثُ فيه هَمَجٌ هامجُ

وكانت المحافظةُ على الجار مظهراً آخَرَ من مظاهر البطولة الاجتماعيّة لدى الفارس العربيّ في

العصر الجاهليّ، الذي كان حريصاً على أَنْ يحميَ الضّعيف، ويدفعَ عنه الظّلم، ويتمثّل هذا الخُلُقُ الكريمُ في إسباغ الحماية على فردٍ أو جماعة هي في حاجة إليها.

لقد كان قانون الجوار من أكثر قوانين المجتمع الجاهليّ ونُظُمه شُيوعاً وأهميّةً في حياتهم الاجتماعيّة. ولا يكاد القارئ يطالع خَبَرا من أخبارهم، ولا شعرا من أشعارهم إلاّ ألْفاهم يتحدّثون عن الجار، ويحثّون أبناءهم على احترامه، والمحافظة عليه، وكأنّه فرد من أفراد الأسرة.

ولم يكن في الجزيرة العربيّة في العصر الجاهليّ حكومة مركزيّة، تستطيع من خلال قوانينها المفروضة، ومؤسّساتها المختلفة، أن تبسط الأَمْن، وتُشيعَ العدالة في حياة النّاس، فتقف في وجه الظّالم، وتردعه عن ظُلْمه، وتساعد الضّعيف، وتأخذ بيده، وتعيد له حقّه من ظالمه، فنشأ هذا النّظام الذي "أَوجدتْهُ ضرورات الحياة العربيّة قبل الإسلام، كبديل للسّلطة المركزيّة. وهو بديل، مهما كان ناقصاً، استطاع على نحو أو آخر، وبدرجة أو بأُخرى أن يؤدّي وظائف السّلطة العامّة، وأن يوفّر للنّاس قدراً من الأمن والطمأنينة، وأنْ يدفع عنهم بعضاً من الظّلم والاضطهاد، وأن يُعيدَ إليهم حقوقاً مغتصبة، وأموالاً منتهبة"[٤٤].

واحترم المجتمع الجاهليّ هذا النّظامَ لما له من أهميّة بالغة في حياتهم اليوميّة، حتّى غدا التمسّكُ به قيمةً أخلاقيّةً عُلْيا، فالآباء يوصون أبناءهم بهذا الخُلُق الحميد، ويحرصون على غَرْس هذه القيمة السّلوكيّة في نفوسهم.

فقد تلقى مالك بن حريم بزهو كبير عن أبيه حمايةَ الجار وإكرامَهُ، كي يظلّ في جواره عزيزاً منيع الجانب، يدفع عنه الضّيْم، ويذود عنه، لا سيّما إذا عزّتْ عليه الحمايةُ[٤٥]:

وأَوصاني الحريمُ بعزّ جاري ... وأَمنعُهُ وليس به امتناعُ
وأدفع ضَيْمَهُ وأذودُ عنه ... وأمنعُهُ إذا امتنع المناعُ

وأوصى مالك بن فَهْم بَنيه بالمحافظة على الجار، قائلاً[٤٦]:

عزّ مَنْ كان مالِكٌ له جارُ ... لَسْتَ في الأَزْدِ إنْ حَلَلْتَ غريبا
كان فَهْمٌ أوصى بَنيه وصاةً ... حفظوها وكان فيهم مُصيبا:
أكرموا الضّيف، واحفظوا حُرْمة ... الجار، وكونوا ممّن أحبّ قريبا

وأَوصى عمارة بن عوف العدواني ابنته بالحفاظ على الجار، والدّفاع عنه[٤٧]:

قلتُ لها، والجودُ من شيمتي: ... آمُرُكُمْ في العُسْر واليُسْر
بضيفكم إنّ له حُرْمةً ... فاقْروا ضيوفي قَحَدَ الجُزُرِ
وارْعَوْا لجار البيت ما قد رعى ... قبلكم ذاك بنو عمرو
قوموا لضيف جاءكم طارقا ... وجاركُمْ بالنّيّ والخَمْرِ

وذَبّبوا مَنْ رامَ جيرانَكُمْ بالسّوء بالبُتْرِ وبالسُّمْرِ

وأوصى الأعشى ابنه بَصيراً بأن يَشْدُدَ أَزْرَ المستجير به، وأنْ يدافع من دونه، موقداً نار حرب تسفع الوجوه[٤٨]:

وكُنْ من وراءِ الجارِ حِصْنا مُمنّعا وَأَوْقِدْ شهابا يسفَعُ الوجْهَ حاميا

لقد كان المجتمع الجاهليّ حريصاً على ألاّ يُنتهك عِرْضُ الجار، وعلى أن تبقى الجارة مصونة بعيدة عن الاعتداء عليها، فقد كان من أكرم صفات الإنسان العربيّ في كلّ زمان ومكان أنْ يحافظ على شرف جاراته. وجاء شعرهم يحكي سموّهم عن الجارة، وابتعادهم عنها، وتعظيم حرمتها، حيث أوصى الأعشى ابنه قائلاً[٤٩]:

ولا تقْربَنّ جارةً إنّ سِرّها عليكَ حَرامٌ فانكحَنْ أو تأبّدا

ويؤكّدُ هذه الوصيّةَ مرّة أخرى في موقع آخَرَ من ديوانه قائلاً[٥٠]:

وجارةَ جَنْبِ البَيْتِ لا تَبْغِ سِرّها فإنّك لا تخفى على الله خافيا

وهذا رَأْيُ الأعشى فيما يتعلّق بحقّ الجارة، على الرّغم ممّا عُرف عنه من غرام بهذا الجانب.

ويوصي لبيد بن ربيعة ابنه بأَنْ يعفف عن الجارات، وأَن يكرمهنّ[٥١]:

واعفِفْ عن الجاراتِ وامْنَحْهُنّ ميسرَكَ السّمينا
وابذُلْ سَنامَ القدر إنّ سواءَها دُهْما وَجونا
ذا القدرَ إنْ نَضِجَتْ وعجّل قبلَهُ ما يشتوينا
تلك المكارمُ إن حفظْت فلن تُرى أبدا غبينا

إنّ الجانب الإنسانيّ يبرز في نفس العربيّ بشكل خاصّ في علاقاته مع جيرانه والمستجيرين به، ولعلّنا لا نجانب الصّواب إذا قُلْنا: لم تعرف أُمّة من الأمم - دونما استثناء - حُرمةً، كالحرمة التي عرفها العرب للجيرة. ويخيّل إليّ أنْ ليس في أدب أُمّة من الأمم ما يرفع الجيرةَ إلى مصافّ المآثر العظام مثلما رفعها الأدب العربيّ. وليس غريباً أن يكون هذا النظام - الجوار - أوّل ما نشأ في سبيل حماية الضّعيف من بطش القويّ، وإنصاف المظلوم من الظّالم، فاستطاع هذا النّظام أن يَحدّ من شهوة البطش، وغريزة الانتقام.

كان التمسّك بهذه القيم الأخلاقية قد دفع تميما لتقاتل بني عامر بن صعصعة يوم رحرحان[٥٢]، لأنهم أجاروا الحارث بن ظالم المرّي، الذي كان قد قتل زعيمهم خالد بن جعفر الكلابي عند النعمان بن المنذر.

ولا شكّ أنّ جواب هانئ بن مسعود الشيباني حين أجار النعمان بن المنذر وبناته جواب رائع يعلق

بالأذهان، حين قال: "هُنّ في ذمّتي لا يُخلص إليهن حتى يُخلص إلى بناتي"[٥٣]، ولا يمكن للمرء أن ينسى جوابه الرائع لكسرى حين طلب منه تسليم ما بذمته من مال ونساء، فوقف الرجل وقفة عزّ وشموخ وكبرياء محافظاً على القيم العربية الأصيلة التي تربّى عليها، وقال: "أنا رجل استودع أمانة، فهو حقيق أن يردّها على مَنْ أودعها، ولن يسلّم الحرّ الأمانة[٥٤].

لقد حافظ المجتمع الجاهلي -بصورة عامة- على الجار، فصوّر قيس بن زهير حقوق الجار وما يجب أن ينعم به، وما يجب أن يتمتع به من برّ ومعاملة بالمساواة، وردّ كل أذى يتعرض له بالدّفاع عنه[٥٥]. ويتابع قوم عمرو بن الأهتم الجار، ويتبعونه بالكرامة حيثما أقام[٥٦]، وزهير بن أبي سلمى يطمئن جاره على ماله، ويضمنه له، ويخاطبه قائلاً: إن نما المالُ وزاد في ديارنا فله المال والزيادة، وإنْ أصابه نقص أديناه إليه كاملاً[٥٧].

وكان العرب يولون من ينزل في جوارهم أهمية بالغة، وينزلونه في مرتبة الأهل، ويعدونه من العيال[٥٨]، وكانوا يخلطونهم بالنفوس[٥٩].

وأسهمت هذه القيم في التخفيف من حدّة المعاناة اليومية في ظلّ غياب حكومة مركزية تأخذ على يد الظالم وتردعه، وتأخذ بيد الضعيف وتنصفه، فكانت هذه القيم النبيلة قوّة موازية للقانون.

وجاء الإسلام، فوجد في العرب فضائلَ خُلُقيةً، وقيما نفسيّةً، أقرّ كثيراً منها، وعدّل جوانب منها، وصاغها على نحو يتناسب وتعاليمَ الدّين. وكان نظام الجوار من النّظم التي أقرّها الإسلام، وحثّ المسلمين على المحافظة على الجار في كثير من الآيات الكريمة، منها قوله تعالى[٦٠]:﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى و الجار الجُنُب والصَّاحب بالجنب وابن السبيل و ما ملكَتْ أيمانكم﴾.

وقد أفاد المسلمون في بداية الدّعوة من هذا النّظام؛ إذ كانوا ضعافاً قليلي العدد، فاستجار عثمان بن مظعون بالوليد بن المغيرة[٦١]، واستجار سعد بن عبادة بمطعم بن جُبَيْر، أحد المشركين، وذلك عندما أخذه رجال من قريش بعد أن بايع الرسول، وأخذوا يضربونه[٦٢]. واستجار الرّسول، بمطعم بن عديّ، بعد عودته من الطائف[٦٣].

ويأذن الله - سبحانه وتعالى - للرسول - أن يُجير المشركين، ويضع للمسلمين توجيهاً عالياً، فقال جلّ من قائل[٦٤]: ﴿وإنْ أَحَدٌ من المشركينَ استجارك فأجِرْهُ حتّى يسمع كلام الله ثمّ أبْلغْهُ مأمنه ذلك بأنّهم قوم لا يعلمون﴾.

ويحثّ الرّسول المسلمين على الجار، فيقول [٦٥]: "ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتّى ظننتُ أنّه سيورّثه". ويقول [٦٦]: "واللهِ لا يؤمن، واللهِ لا يؤمن، والله لا يؤمن! قيل: مَنْ يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن

جاره بوائقه".

وحَرَص الشاعر الجاهلي على نقاء المجتمع، لتظلّ شبكة العلاقات الإنسانية نقيّة ومُعافاة. وتُعدّ الغَيْبَة والنّميمة من أشدّ الآفات الاجتماعيّة فَتْكا بالمجتمع، وتدميرا لبنيته الاجتماعية، فتنبّه الشاعر إلى خطورتها، وبَذَلَ جهوداً لمكافحتها، فتناول عَبَدَةُ بنُ الطّبيب شخصيّة النمّام، الذي يسعى بسمومه بين النّاس، وقد شبّه كلامه بالعقارب، إذا لَسَعَتْ أثارتْ حربا، وبعثتْ فتنة، كما يبعث الأخدع عروقه. وضرب مثلاً زَيْدَ بْنَ مالك و قومَهُ، الذين يُغَذّون أبناءهم سموم العداوة، وهم ولدان صغار، واستعار لهؤلاء القوم ومشيهم بالنّميمة صورةَ القنفذ، الذي يسعى مستخفيا تحت جنح الظّلام، ويُعرّج بعد ذلك على ذكْر زَيْدٍ، الذي أفسد أمر قومه، وبثّ بينهم العداوة، فشتّتهم ومزّق وَحْدَتهم، وخاطب الشاعر أبناءه محذّراً[٦٧]:

وَدَعُوا الضّغينةَ لا تكُنْ من شأنكم ... إن الضّغائن للقرابة توضَعُ
وَاعْصُوا الذي يُزْجي النّمائمَ بينكم ... متنصّحا ذاك السّمامُ المنْقَعُ
يُزجي عقاربَهُ ليبعثَ بينكم ... حَرْبا كما بَعَثَ العُروقَ الأخدعُ
لا تأمنوا قوما يشبُّ صبيُّهم ... بين القوابل بالعداوة ينشَعُ
قَوْمٌ إذا دَمَسَ الظّلامُ عليهم ... حَدَجوا قنافذَ بالنّميمة تمزَعُ
أمثالُ زيد حين أفسد رهطَهُ ... حتّى تشتّتَ أمرُهُمْ فتصدّعوا
إنّ الذين تَرَوْنهم إخوانكم ... يَشْفي غليلَ صدورهم أنْ تُصْرَعوا

وقد وقف الجاحظُ على القيمةِ السّلوكيّة لهذه القصيدة، وعلّق عليها بقوله[٦٨]: "وهذا الشّعر من غُرر الأشعار، وهو ممّا يحفظ".

وأدرك الشّاعر الجاهليّ الأسباب التي تؤدّي إلى تفسّخ بنية المجتمع، وتخلخل نسيجه الاجتماعيّ، فبثّ في أبنائه، وأبناء مجتمعه، قيما سلوكيّة عُليا، تؤدّي المحافظة عليها إلى استقرار العلاقات الاجتماعيّة، فيغدو المجتمع قويّا متماسكاً.

ووعى كعب بن زهير أهميّة المحافظة على الأسرار، وما يترتّب على التّفريط بها من تفسّخ العلاقات الإنسانيّة، فيصوغ خلاصة تجاربه في الحياة فكرا اجتماعيّا يوصي به ابنه قائلاً[٦٩]:

لا تُفْشِ سِرَّكَ إلاّ عند ذي ثِقَةٍ ... أوْ لا فأفضلُ ما استَودَعْتَ أسْرارا
صَدْرا رحيبا وقلْبا واسعا صَمِتا ... لم تَخْشَ منه لما استَوْدَعْتَ إظْهارا

وإذا كان بعض النّاس يجدون راحة نفسيّة في إطلاع الآخرين على أسرارهم، لعلّهم يقدّمون لهم ما يخفّف عنهم الضّغط النّفسيّ، فعليهم أنْ يحذروا من إفشاء أسرارهم إلى ذي نَميمة، وفي هذا يوصي دعامة بن زيد الطّائيّ ابنه قائلاً[٧٠]:

ولا تُـفْشِيَـــنْ سِـرًا إلـى ذي نـميمـةٍ فـذاك إذاً ذَنْـبٌ بـرأسِـــكَ يُعْصَبُ
إذا مـا جـعلـتَ السِـرَّ عـنـد مُـضَيَّـعٍ فـإنَّـك ممّـن ضـيّـعَ الســرَّ أَذْنَبُ

إنّ انخفاض منسوب القيم في نفوس بعض أبناء المجتمع كان وما يزال سبباً رئيساً في معاناة الإنسانيّة، فكثيرا ما اكتوى المجتمع بنيران هؤلاء الذين لم يحافظوا على هذه القيمة الخُلُقية، ممّا دفع العقلاء والمفكّرين إلى القول: صدرك أوسع لسرّك.

ويبهرنا دعامة بن زيد الطّائيّ بحرصه على تحلّي ابنه بالآداب العامّة في المجالس، فيوصيه قائلاً[٧١]:

لا تـقـطعـنَّ مـقـالـةً فـي مجلـسٍ لا تـسـتـطيـعُ، إذا مَـضَـتْ، إدراكَـها
قِـسْ كُـلَّ أَمْـرِكَ قَبْـلَ جهرِكَ بالتي فـاتَـتْ ولَـمّـا تـستطِـعْ إمْـساكَـها

واهتمّ الشّاعر الجاهليّ برسم ملامح السّلوك الاجتماعيّ، على نحو ما نجد تعبيراً لذلك في وصيّة عديّ بن زيد العباديّ، الذي أَسَرَنا بقوله[٧٢]:

إذا أَنْـتَ فـاكَـهْـتَ الـرّجـالَ فـلا تَلَعْ وَقُـلْ مثْـلَ مـا قـالـوا ولا تتـزنّد
وإيـاكَ مـن فَـرْط المـزاح فـإنّه جـديـرٌ بـتسفيـهِ الحـليـمِ المُـسَدّدِ

لقد صدق عديّ بن زيد، وكان صائباً في وَصاته، فالإفراط في المزاح يُفقد الرّجل الكريم كرامته، ويذهب بهيبته، ويؤدّي إلى قلّة الاحترام بين النّاس.

ويدعو أبناءه أو أبناء مجتمعه إلى الصّفح والتّسامح، ويخاطبهم بقوله[٧٣]:

إذا مـا رَأَيْـتَ الشَـرَّ يـبعـثُ أَهـلَـهُ وقـام جُناةُ لـلـشَـرّ بـالشَرّ فاقْعُدِ

ويأمرهم بالعدل والبعد عن الجَوْر[٧٤]:

وبـالعَـدْلِ فـانطِـقْ إنْ نَـطَقْـتَ ولا تَلُمْ وذا الـذَمّ فـاذْمُمْـهُ وذا الحَمْـدِ فـاحْمَدِ

ومدّ الشّاعر الجاهليّ بصره إلى أَهمّ مؤسّسة من مؤسّسات المجتمع الجاهليّ، ألا وهي مؤسسة قيادة القبيلة، فتبوّأ هذا المنصب، وكان إذا حضره الموتُ، ورأى ابنه جديراً بالسّيادة أوصاه بوصايا ترشده في رئاسته القادمة، فقد رُوي أن الحارث بن كعب، سيّدَ القبيلةِ التي كانت تُسمّى باسمه، أوصى ابنه أشعثَ بأن يكون جريئا مقداما[٧٥]:

أَبنـيَّ إنّ أبـــاكَ يـومـا هـالـكٌ فـاحفَـظْ أبـاك ريـاسـةً وتـقـلّبـا
وإذا لـقـيتَ كـتـيـبـةً فـتـقدّما إنّ المـقـدّم لا يـكـون الأخـيـبـا
تَـلْـقـى الـرّياسـة أَو تـمـوتُ بطعنة والمـوتُ يـأتـي مَـنْ نـأى وتـجـنّبا

ويوصي المرار الفقعسيّ ابنه، الذي كان يطمح للوصول إلى هذا المنصب المرموق، يوصيه بالحلم، والبعد عن التسرّع والشّتم[٧٦]:

إذا شئتَ يوما أنْ تسودَ عشيرةً ... فبالحِلْم سُدْ لا بالتّسرع والشَّتْم
ولَلْحِلْمُ خَيْرٌ، فاعْلَمَنّ، مغبّةً ... من الجهل إلاّ أنْ تشمّس مِنْ ظُلْم

وحَرَص الشّاعر الجاهليّ في وصاياه لأبنائه على تعزيز صلتهم بالقبيلة، وبيان واجباتهم، وما يجب أن ينهضوا به في الملمّات. فقد أوصى صِرْمَةُ بن أبي أَنَس أبناءه، وفصّل لهم حقوق قبيلتهم عليهم، وخاطبهم قائلاً[٧٧]:

وإنْ قومُكُمْ سادوا فلا تحسدنّهم ... وإن كنتُمُ أَهْلَ الرّياسة فاعدلوا
وإنْ نزلتْ إحدى الدّواهي بقومكم ... فأنفسَكُمْ دونَ العشيرةِ فاجعلوا
وإنْ نابَ غُرْمٌ فادحٌ فارفُقُوهُمُ ... وما حمّلوكم في الملمّات فاحملوا

وأوصى الأعشى ابنَهُ بَصيراً بأَنْ يشارك سادة الحيّ فيما ينوب من مغارم[٧٨]:

وآسِ سَراةَ الحيّ حيثُ لقيتَهُمْ ... ولا تكُ عن حَمْل الرّباعة وانيا

وأوصاه بألاّ يتخلّى عن قومه إنْ مَسَّهم ضُرّ، لأنّ تلك المشاركة سبيل إلى المجد[٧٩]:

ولا تخذلنّ القَوْمَ إنْ نابَ مَغْرَمٌ ... فإنّك لا تعدم إلى المجد داعيا

ويُشيدُ كعب بن زهير بما وصّاه به أبوه، قائلاً[٨٠]:

وبالعَفْوِ وصّاني أَبي وعشيرتي ... وبالدّفْعِ عنها في أُمور تَريبُها
وقومَكَ فاسْتَبِقِ المودّةَ فيهم ... ونفسَكَ جنّبها الذي قد يَعيبُها

ويدلّ استقراء شعر كعب على أنّه دافع عن قبيلته مُزَيْنَةَ في مواقف عديدة، و"كان لا بُدّ له من أن يخوض مشكلات واقعها القبليّ، ويذود عنها بدافع من الالتزام بوصايا أبيه"[٨١].

وأَوصى قيس بن عاصم بَنيه بأن يُسوّدوا كبارهم وحلماءهم، ويحافظوا على حقوق صغارهم[٨٢]:

وَذَوو الحِلْمِ والأَكابرُ أَولى ... أنْ يُرى منكُمُ لَهُمْ تسويدُ
وعليكُمُ حِفْظَ الأصاغرِ حتّى ... يبلُغَ الحِنْثَ الأصغرُ المجهودُ

وأوصى عبد قيس بن خُفاف البُرْجُميّ ابنه جُبَيْلا أن يشارك قومه فقرهم وضيقهم، وخاطبه بقوله[٨٣]:

وإذا لقيتَ الباهشين إلى النّدى ... غُبُرا أكفُّهُمُ بقاعٍ مُمْحلِ
فأعِنْهُمُ وَايْسِرْ بما يَسَروا بِهِ ... وإذا هُمُ نزلوا بضَنْكٍ فانزِلِ

وإذا ما لحق جُبَيْلا ذُلّ وهوان في مكان إقامته، أو من أحد من أفراد قبيلته فعليه أن يتحوّل عن ذلك المكان[٨٤]:

وَاتْرُكْ محلّ السَّـــــــــوْءِ لا تحلُلْ بـه ... وإذا نبا بكَ منـــــــــــزلٌ فتحوّلِ
دارُ الهَـــــــــــوانِ لمن رآها دارَهُ ... أَفراحِـــــــــــلٌ عنها كَمَنْ لم يَرْحَلِ

وقد يتنازع الإنسانَ موقفان: أحدهما يدعوه إلى مقابلة الشرّ بالشرّ، والآخر يدعوه إلى الصّفح الجميل، فيأسرنا عبد قيس بن خُفاف البُرجميّ بهذه القيم الإنسانيّة التي تجعل من ابنه رجلاً فذّا[٨٥]:

وإذا هَمَمْتَ بأَمْرِ شـــــــــرّ فَاتّئِدْ ... وإذا هَمَمْتَ بأَمْر خَيْـــــــــر فافْعَلِ
وإذا تشـــــــاجر في فؤادك مرّةً ... أَمران فاعْمِدْ للأعـــــــفّ الأجملِ

ولَعَمْري، فهذا هو الأدب الرّفيع، الذي يغرس القيمَ السّلوكيةَ في نفوس الأبناء ويصقلها، ويعدّهم إعداداً نفسيّاً ووجدانيّاً واجتماعيّاً، ويجعلهم قادرين على النّهوض بواجباتهم نحو مجتمعهم، ويخلق منهم مواطنين صالحين. وعلى الآباء أنْ يعزفوا هذه الأناشيد أمام الأبناء دونما مَلَلٍ ولا كَلَل، لأنّ الأُمّة التي تسودها هذه القيمُ هي أُمّة متحضّرة، لديها حضارةٌ نفسيّةٌ عريقةٌ تزهو بها وتعتزّ.

وهذا ذو الإصبع العدواني أَحَدُ حكماء العرب في الجاهليّة، خاض غمار الحياة، وعرف ما فيها من خير وشرّ، وعُمِّر طويلاً حتّى ملّ الحياة، وعلم أنّه مهما عاش فلا بُدّ من الموت، فَلْيترك لابنه خيراً ومأثرة وهدى، إذ أراده أن يكون سيّد قومه وحكيمهم، فشرع يوصيه بهذه الوصية[٨٦]: "يا بُنَيّ إنّ أباك قد فني وهو حيّ، وعاش حتّى سئم العيش، وإنّي موصيك بما إن حفظتَهُ، بلغتَ في قومك ما بَلَغْتُهُ، فاحفظْ عنّي: أَلِنْ جانبك لقومك يحبّوك، وتواضَعْ لهم يرفعوك، وابسُطْ لهم وجهك يطيعوك، ولا تستأثرْ عليهم بشيء يسوّدوك، وأَكْرِمْ صغارهم كما تكرمُ كبارهم، يكرمْكَ كبارُهم، واسْمَحْ بمالك، واحْمِ حريمك، واعْزُزْ جارك، وأعنْ مَن استعان بك، وأكرمْ ضَيْفَك، وأسرع النَّهضة في الصّريخ، فإنَّ لك أجَلا لا يعدوك، وصُنْ وجهك عن مسألة أحد شيئا، فبذلك يتمّ سؤدُدُك".

ولم يكتفِ ذو الاصبع بالمنثور، بل أنشأ على الفَوْر قصيدة رائعة ضمّنها وصايا أُخَرَ، فأمَرَ ابنه أُسَيْداً باصطفاء الكرام ومؤاخاتهم، مدركاً بذلك أَثَر صحبة الأخيار في تربية الخُلق، وتقويم النّفس. فالإنسان مولع بالتّقليد، فمثلما يقلّد مَنْ حَوْلَهُ في الملبس والمسكن، يقلّدهم في الخُلُق، ويتخلّق بأخلاقهم، فقد قال أحد الحكماء: "نبّئني عمّن تُصاحب أُنبئك مَنْ أنت"[٨٧]. فمعاشرة الرّجل الكريم تُلقي في نفس الإنسان المروءة والنّخوة، لذا يأمر هذا الأبُ ابنه بأن يلزم صداقة الكرام، وأنْ يشرب بكأسهم، ولو شربوا به سُمّا ناقعاً، وأن يكون وَصولا لهم وَدودا، لأنّ في صداقتهم فضلاً له[٨٨]:

آخِ الـــــــكـــــــرامَ إنِ اسْتَطَعْتَ ... إلـــى إخـــــــائهمُ سبيـــــلا
واشربْ بكأســـــــــــهم وإنْ ... شربوا بـه الســـــــــمّ الثّميلا
أَهِنَ اللّئـــــــــامَ ولا تَكُنْ ... لإخائهم جَمـــــــــــلا ذَلولا

إنّ الـــكـــــــــــــرامَ إذا تُـــؤاخيهـــــــــــمْ وجدتَ لهم فضولا
وَصِلِ الكـــــــــــــرامَ وَكُنْ لِمَنْ ترجـو مَـوَدّتـــــــــــــه وَصولا

ويدعو ابنه أُسَيْدا إلى أنْ يستشرفَ ويقيمَ في الأماكن العالية، وأن يحلّ على الأَيْفاع، لتكون ناره بارزة، يهتدي بها الضّيوف، ويلجأ إليه كلّ طالب معروف، ويأمره قائلاً[٨٩]:

وابـــــذلْ لـــــضـــــيـــــفـــــك ذاتَ رَحْـــلِكَ مُـكْـــرِمـــا حـتّـى يـــزولا
واحْـــلُـــلْ عـلـــى الأَيْـــفـــاع لـلـعـافـيـن وَاجْـتَـنِبِ المســـيلا

ويرسم لابنه سياسة ماليّة، قائمة على أن يتصرف في المال تصرّفا جميلا، وأن يكون مسيطرا على المال، وألاّ يكون المال مسيطرا عليه، فالمال وسيلة لبناء المجد، والبذل، لا ليكدّس في الخزائن، لأنّ المال – حينئذ – لا يبكي صاحبه، الذي جدّ في جمعه، وربّما جمعه بطرق شائنه[٩٠]:

أَأُسَيْـــــدُ إنْ مـــــــــــالاً ملكْت فَسِـــرْبـــه سَيْـــــــــراجميلا
أَبُنَيّ إنّ المـــــــــــالَ لا يبكي إذا فَقَـــــــــدَ البخيلا
وَابْسُطْ يمينَـــــــــكَ بالنّدى وامدُدْ لها باعـــــــــا طويلا
وَابْسُـــــــــطْ يَدَيْكَ بما ملكْت وشيّـــــــــدِ الحَسَـــبَ الأَثيـــلا

ويدعوه إلى أن يكون جريئا مِقْداما، ينقضّ على خصمِه كما ينقضّ اللّيث على فريسته، ويدعوه إلى مواجهة أفدح الأمور بِجَلَدٍ وصَبْر[٩١]:

وإذا القُـــــــــــروم تَخاطَرَتْ يوما وأرعـــــــــــدت الخَصيلا
فاهصِرْ كهصـــــــــــرِ اللّيـــــثَ خَضّـبَ من فريستـــــــــه التّليلا
وانزِلْ إلى الهيجـــــــــا إذا أبطالُهـــــــا كرهـــــوا النُّزولا
وإذا دُعيـــــــــتَ إلى المُهِـــــمّ فكُـــــــنْ لفادحـــــه حَمـــولا

ويحثّه على المحافظة على الصّديق[٩٢]:

أَأُسَيْـــــــــــدُ إنْ أزمعـــتَ من بَلَدٍ إلى بَلَـــــدٍ رحيـــــــلا
فاحفظْ وإنْ شَحَـــــــــطَ المزارُ أَخـــا أَخيـــــــــك أو الزّميلا

وتأخذ القيم التّربوية عند حسّان بن ثابت بُعْداً أخلاقيّا متميّزا، يبهَرُ القارئ، وينزع إعجابَهُ. فنرى الشّاعر حريصاً على إعداد ابنه إعداداً نفسيّاً، فيأمره بألاّ يصغيَ إلى ما هو قبيح، فضلا عن عدم جواز النّطق به أصلا، وإنْ جلس في مجلس، ونطق أحد فيه كلاما قبيحا، فعليه أن يصمّ أُذنيه، وأن يتغافل عن ذلك، كي تظلّ نفسيته نقيّة.

وينهى فتاه عن الإلحاح في السُّؤال، ويأمره بمجالسة الكرام، وعليه أن يُحسن انتقاءهم واختيارهم. ويدعوه إلى قيم نفسيّة كالجود، والحثّ على الطّاعة، وكسب الفضائل، وعدم تناول الخمرة، أو عدم الإدمان

عليها، كي لا يصبح موبوءا، ينفر منه الأسوياء الأصحّاء، وقد ضمّن هذه الفضائل النفسيّة قوله[٩٣]:

أَعْـــرِضْ عن العـــــوراءِ إنْ أُسْمِعْتَها ... واقْعُدْ كأنّـــــــــك غافلٌ لا تَسْمَعُ
وَدَعِ السّـــــــؤالَ عن الأُمورِ وحفرِها ... فَلَرُبَّ حافرِ حفـــــــــرة هو يُصْرَعُ
والـزَمْ مجالسةَ الكـــــــرامِ وفعلَهُمْ ... وإذا اتّبعتَ فأَبْصِـــــــرَنْ مَنْ تتبَعُ
لا تَتْبَعَنَّ غَوايـــــــــةً لصبابة ... إنّ الغوايةَ كُلَّ شـــــــــرّ تَجْمَعُ
والقومُ إنْ نزروا فَـــــــزِدْ في نَزْرِهِمْ ... لا تقْعُـــــــــدَنّ خلالهم تتسَمّعُ
والشّربَ لا تدْمِـــــــنْ وَخُذْ معروفَهُ ... تَخْرُجْ صحيـــــــحَ الرأسِ لا تتصدّعُ
واكدَحْ لِنَفْســـــــكَ لا تكلّف غيرَها ... فبدينها تجـــــــزى وعنها تدفَعُ

ويصوغ عمرو بن الأهتم لابنه رِبْعيّ دستورا أخلاقيّا، يضمّنه خلاصة تجاربِه في الحياة، كانت المحافظة على المجد أبرز ما فيه[٩٤]:

لقد أَوْصَيْتُ ربعـــــــــيَّ بْـنَ عمرٍو ... إذا حَـزَبَـــــتْ عشيـــــــرتَكَ الأُمورُ
بأنْ لا تُفْســـــــــدَنْ ما قد سَعَيْنا ... وحفظُ السُّـــــورةِ العُليـــــا كبيرُ
وإنّ المجـــــــــدَ أَوّلُهُ وُعورٌ ... ومصدرُ غِبّـــــــهِ كـــــرمٌ وخيرُ
وإنّك لن تنـــــــــالَ المجدَ حتّى ... تجودَ بما يضـــــــــنُّ به الضّميرُ
بنفسك أو بمالـــــــــك في أُمورٍ ... يهابُ ركوبَهـــــا الـــــوَرِعُ الدَّثورُ

وَحَرَص قيس بن عاصم على تعزيز العلاقات الإنسانيّة بين أبنائه، وهي قضيّة - كانت وما تزال - تشغل بالَ الآباء، وتؤرّقهم. فلمّا حضرتْهُ الوفاةُ، جمع بَنيه، وقال لهم: فَلْيأتني كلّ واحد منكم بعود، فاجتمع عنده عيدان، فجمعها وشدّها، وقال: اكسروها، فلم يُطيقوا ذلك، ثم فرّقها فكسرها، فقال: هذا مثلكم في اجتماعكم وتفرّقكم، ودعاهم إلى الاتّحاد وإصلاح ذات بينهم، لأنّ فيه طولَ بقائهم، وسرَّ قوّتهم وتماسُكَهم، ودعاهم إلى أن يُحبّ بعضهم بعضا، ثمّ خاطبهم بقوله[٩٥]:

بصـــــلاحِ ذاتِ البَـــــيْنِ طولُ بقائكُمْ ... إنْ مُدَّ في عُمْـــــــري وإنْ لم يُمْدَدِ
حتّى تليـــــنَ جلودُكُـــــمْ وقلوبُكُمْ ... لســـــوّدِ منكـــــم وغيرِ مُسَوّدِ
إنّ القـــــداحَ إذا جُمِعْـــنَ فرامَها ... بالكَسْـــــــرِ ذو حَنَقٍ وبَطْشٍ أيّدِ
عَزّتْ فلـــم تُكْسَـــــرْ وإن هيَ بُدّدَتْ ... فالوَهْنُ والتّكسيـــــــــرُ للمتبدّدِ

ويشغل الحرص على مستقبل الأبناء بالَ قيس ويؤرّقه مرّة أُخرى. فنراه - كما تدلّ رواية صاحب الأغاني - يجمع أبناءه مرّة ثانية، ليطمئن على متانة علاقاتهم بعد وفاته، وكان قد جمع ثمانين سَهْما، ربطها بوتَر، ثمّ قال: اكسروها، فلم يستطيعوا، ثمّ قال: فَرّقوا. ففرّقوا، فقال: اكسروها سهما سهما، فكسروها، فقال: هكذا أنتم في الاجتماع وفي الفُرْقة، ثم خاطب أبناءه، مرّة أُخرى، داعيا إلى وَحْدتهم[٩٦]:

وثلاثون يا بَنـــــــــــيَّ إذا ما جَمَعَتْهُمْ في النّائبـــــــــات العُهودُ
كثلاثين من قـــــــــداح إذا ما شدّها للزّمان قِـــــــــدْحٌ شديدُ
لَمْ تكسّرْ وإنْ تفرّقـــــتِ الأسْـــــهُمُ أودى بـــجـــمـعـهـــــــا التبديدُ

وحثّ أبناءه على السَّيْر على سنن الآباء، وإعلاء بنيان المجد، الذي أرسى دعائمه[٩٧]:

إنّما المجدُ ما بنـــــــي والـــــدُ الصّدقِ وأحيـــا فَعالَـــــــــــهُ المَوْلودُ
وتمام الفضلِ الشّجاعـــــــةُ والحِلْمُ إذازانَـــــــهُ عَفـــــــافٌ وجـــــود

وأوصى النّمر بن تَوْلَب فتاه بأنْ يبني مجده بيديه، وألاّ يعتمد على غيره، لأنّ الناس لا يبنون له ما يهدمه بيديه، ويجنّب نفسه الخيانة، وينأى عن الإثم[٩٨]:

وأُوصي الفتـــــى بابتنـــــاء العَلاء: أَلاّ يخـــــــــونَ ولا يَأْثَمـــا
ويَلْبَـــــسَ للدّهـــــرِ أَجْلالَـهُ فلن يبنـــيَ النّـــاسُ ما هدّما

وأَوْصى ابنه بألاّ يطلق لعواطفه العنان، فلا يغرق في الحبّ أو الكره، وإنّما يجب أن يعتدل في ذلك، لأنّ الزّمان قد يدور، فينقلب الصّديق عدوّا، وقد ينقلب العدوّ صديقا، فخاطب ابنه قائلاً[٩٩]:

وَاحْبِبْ حبيبَـــــــكَ حُبّـــا رويـدا لئلا يعولَـــــــــكَ أنْ تَصْرما
وَابْغُضْ بغيضَـــــــكَ بُغْضا رويـدا إذا أنـت حاولـــــــتَ أن تحكُما

وكان الحفاظ على الأمانة من أهمّ القيم السّلوكية التي حرص نُفَيْلُ بْنُ مرّةَ العبديّ على تعزيزها في نفس ابنه، فحثّه على التمسّك بقيم الوفاء[١٠٠]:

بُنَيَّ استمعْ منّي هُديـــــــتَ وصاتيا ولا تَكُ عَنْها مُدّة الدّهـــــــر ساهيا
إذا ما امرؤ أَهـــــــدى إليك أمانةً فأوْفِ بها إنْ مـــــــتَّ سُمّيتَ وافيا

ويرسل قيس بن مسعود الشّيبانيّ وصايا لأبنائه – وهو في السّجن يحثّهم فيها على الصّلح[١٠١]:

ليُذكَرَ معـــــــــروفٌ ويُدْحضَ جاهلُ وأُوصيهُمُ بالـــلـــــــــه والصّلح بينَهم
على الدّهرِ والأيـــــــامِ وهي غوائلُ وصاةَ امرئ لو كـــــــان فيهم أَعانَهُمْ

ويوصي العُدَيْل بن الفرخ قبائل ربيعة ومُضَرَ، بالكفّ عن القتال بينهم بعد أن ذكَر ما جرّتْهُ الحروب عليهم من ويلات، ويحثّهم على التواصل والتّعاضد، ويحذّرهم من التقاطع والتّدابر، لأنّ ذلك يؤدّي إلى ضعفهم واجتراء الخصم عليهم. ويذكّرهم بما في صلة الرحم من الأجر، وبما في قطيعته من الإثم، وخاطبهم قائلاً[١٠٢]:

فأوصيكما يا ابنَـــــــــــيْ نزار فتابِعا ... وصيّة مُفضي النُّصْـــــــــح والصّدْقِ والوُدِّ
فلا تعلمنّ الحـــــــربَ في الهام هامتي ... ولا ترميا بالنبـــــــــل ويحكما بعدي
أما ترهبـــان النـــــــارَ في ابني أبيكما ... ولا ترجوان الـــــــه في جنّة الخلدِ

ويوصي عبد المطلب ابنه زُبيرا بالمحافظة على حلف خزاعة، لمحافظتهم عليه، ويحثّ ابنه على الابتعاد عن الظّلم والغدر[١٠٣]:

سأُوصي زُبَيْـــــــــرا إنْ توافـــتْ منيّتي ... بإمســـــــــاك ما بيني وبين بني عمرو
وأن يحفظ الحلفَ الـــــــذي بينَ شيخه ... ولا يَلْحَدَنْ فيه بظلـــــــــم ولا غدرِ
هُمُ حفظـــــــوا الإلَّ القديمَ وحالفوا ... أباكَ فكانـــــــوا دون قومك من فِهْرِ

وفي مجال العلاقات الإنسانية يوجّه الأضبط بن قريع ابنه إلى صياغة علاقاته بأبناء مجتمعه على مبدأ المعاملة بالمثل، فيصل حبال الوُدّ للبعيد، إنْ وَصَلَها، ويقطع حبال الودّ مع القريب، إن قطعها، ويحثه على القناعة في العيش[١٠٤]:

وَصلْ وصالَ البعيـــــــــــد ما وَصَلَ ... الـــحَبْلَ وأَقْصِ القـــــــريبَ إنْ قَطَعَهْ
واقْبَلْ من الدّهـــــــــــر ما أتاك به ... مَنْ قرّ عَيْنـــــــــــا بعيشه نَفَعَهْ

ويزهو هبيرة بن عمرو بن جرثومة النّهدي بما كان أبوه قد أوصى به أبناءه، وكان قد أوصاهم بأن يدافعوا عن ديارهم، حتى لا تستباح، وأن يظلّوا مستعدّين للقتال، فإنْ أوقدتْ نار الحرب كانوا شهابها، إذْ لا يذود عن النّاس إلاّ سيوفهم ورماحهم[١٠٥]:

وأَوصى أَبونا فاتّبعنـــــــــا وصاتَهُ ... وكلّ امرئ موص أبـــــــــوه وذاهبُ
إذا أوقدتْ نارُ العـــــــــدوّ فلا يَزَلْ ... وحامُوا كما كنّـــــــــا عليها نضاربُ
يفرّجُ عن أبنائنـــــــــا ونسائنا ... شهابٌ لكم تُرْمى به الحـــــــــربُ ثاقبُ
وما ذادَ عنّا النّـــــــــاسَ إلاّ سيوفُنا ... وخطيّةٌ ممّا يتـــــــــرّص زاعبُ

ويحرص النهديون على تعزيز هذه القيم النبيلة في نفوس أبنائهم، فنرى عمرو بن مرّة بن مالك النّهدي يشدو بما أوصاه به زوْيّ بن مالك، الذي كان قد أوصاهم بألاّ تستباح ديارهم، وعليهم أن يدافعوا عنها، ويغالوا بأخذ المكرمات[١٠٦]:

بذلك أوصاني زُوْيّ بن مالـــــــــــك ... ونَهْدُ بن زيدٍ في الخـــــــــطوبِ الأوائلِ
وأوصى بألاّ تُســـــــــتباح دياركم ... وحاموا عليها تنطقـــــــوا في المحافلِ
وغالوا بأخذ المكرمـــــــــــاتِ فإنّها ... تفوز غداةَ السّبـــــــــق عند التفاضلِ

ويُظهر يزيد بن الحكم الثقفي حرصاً شديداً على إعداد ابنه بدر إعداداً نفسيّاً ووجدانياً، فيضع بين يديه منظومة متكاملة من القيم السّلوكية، ضمّنها خلاصة تجاربه في الحياة. فيأمر ابنه بدراً بأن

يحافظ على الصّديق، وأن يرعى حقّ الجار، وأن يحسن إلى الضيف، لأنّه سوف يحمد أو يلوم[١٠٧]:

يـــا بـــدرُ والأمثـــــــالُ ... يَضْـــــربُها لذي اللُـــــــبّ الحكيمُ
دُمْ للخليـــــــــــل بودّه ... ما خَـيْـــــــــــرُ وُدّ لا يـدومُ
واعـرفْ لجـــــــــارك حقـه ... والحـقّ يعـرفـــــه الكـــريـمُ
وَاعْـلَـمْ بـأنّ الضّيْـــــــفَ يَوْمـا ... سـوفَ يَحْمَـــــــدُ أَو يلومُ
والنّاس مبتنيـــــان محـــمودُ ... البـنـــايـــــة أو ذمـيـــمُ

ويدعوه إلى الانتفاع بما يعلم، والتدبّر في عواقب الأمور، وتقديرها تقديراً سليماً قبل الشّروع فيها:

واعْلَـــــمْ بُنَـــــــيَّ فإنّه ... بالعلم ينتـــــــــفعُ العليمُ
أن الأُمـــــــــــورَ دقيقُها ... ممّا يهيـــــــــجُ له العظيمُ

ويحذّره من البغي والظّلم:

والبغيُ يصـــــــــرع أهلَهُ ... والظّلْمُ مرتعُـــــــــهُ وخيمُ

ويصوغ له خلاصة رؤيته للعلاقات الإنسانية:

ولقد يكونُ لَـــــــكَ الغريـــبُ ... أَخـــــا ويقطعُـــــــكَ الحميمُ

ويرسم له سياسة مالية، يدعوه فيها إلى ادّخار المال مع حسن التدبير، لأن كرامة المرء متسببّة عن غناه:

والمرء يُكْـــــــــرَمُ للغنى ... ويُهانُ للعَـــــــــدَم العَديمُ
قد يُقْترُ الحَـــــــولُ التّقـــيُّ ... ويُـكـثـــــر الحمِـقُ الأثـيـــمُ
يُمْلـــــى لـــــذاك ويُبتلى ... هذا فأيّهمـــــــــا المضيمُ

ويحثه على النهوض بالحقوق والبعد عن البخل، واستمداد العبرة والموعظة من التاريخ، لأنّ مَنْ مضى قبله من الأمم بادَ وهلَكَ، والكلّ صائر إلى الزّوال:

والمرء يبخـــــــل في الحقـــو ... قِ وللكلالـــــــــة ما يُسيمُ
ما بُخْلُ مَنْ هـــــــــو للمنو ... نِ ورَيْبـــــــــها غَرَضٌ رجيمُ
ويرى القـــــــرون أمامَهُ ... همـــــــدوا كما هَمَـــــدَ الهشيمُ
ويخـــــرّبُ الدّنيـــــا فلا ... بُؤْسٌ يـــــــــدومُ ولا نعيمُ
كلّ امـــــرئ سَتـــئيـــمُ منْـــهُ ... الـعـــــرْسُ أو مـنـهـا يـئـيـمُ
ما علْـــــــــمُ ذي وَلَـــدٍ ... أَيَثْـكَـلُهُ أم الولـــــــدُ اليتيمُ

موقف الأبناء من وصايا الآباء

كان الأبناء يتلقَّوْن هذه الوصايا باعتزاز كبير، ويُصْغون إلى آبائهم، وهم يعزفون لهم هذه الألحان، فتلقّفوها سُنَنا لا يحيدون عنها، وحفظوها كأنّها أناشيد قوميّة، قال أَدْهَمُ بْنُ حازم، أحد شعراء ضبّة يهجو بني عامر ويزهو بمعاملة الأسرى معاملة إنسانية كريمة، استجابة لوصايا أبيه التي افتخر باحترامها[١٠٨]:

فَما نَسْـــــــلُبُ القتلى كما قَدْ فَعَلْتُم ... ولا نمنع الأَسْـــــرى من الأَكْلِ والشُّرْبِ
وسَلْبُ ثيابِ الميْـــــــــتِ عارٌ وذلّةٌ ... ومَنْعُ الأسيـــــــــرِ الزّادَ من أَقْبَحِ السَبِّ
بذلك أَوْصانا أبونـــــــــا ولم نكُنْ ... لِنَتْرُكَ ما وصّـــــاهُ في الخِصْبِ والجدْبِ

وقال أَوْسٌ العَبْدِيُّ يمدح مالكَ بْنَ فَهْم، ويبيّن حفظ أبنائه ما أَوْصاهُمْ به[١٠٩]:

كان فَهْمٌ أوصـــــــــى بنيه وصاةً ... حفظوها وكـــــــــان فيهم مُصيبا

وكان زهير بن أبي سُلْمى، كما مرّ معنا، قد أوصى ابنه كعبا بأن يكرّس وقته لخدمة العشيرة، وأَنْ يدافع عنها، وأنْ يجعل علاقته بقومه قائمة على المودّة، فتقع هذه الوصايا في قلب هذا الفتى، ويحفظها، ويعمل بها[١١٠]:

ولقد حفظـــــــــتُ وصاةَ مَنْ هو ناصح ... لي عالـــــــــــمٌ بمآقط الخُلاّنِ

ونرى حسان بن ثابت وأبناءه يرحّبون بما أوصى به جدُّهم مالكٌ، وكان قد أوصاهم بأن يدافعوا عن أعراضهم بسيوفهم وأموالهم، فيهتف مرحّبا بما أمر[١١١]:

أَوصى أبونـــــــــا مالكٌ بوصاتـه ... عَمْراً وعَوْنـــــــــا إذْ تجهّز غاديا
بأن اجعلـــــــــوا أموالكـــم وسيوفكم ... لأعراضكم ما سلّم الـــــــــه واقيا
فقلْنا له إذ قال مـــــا قال: مرحبـــا ... أَمَرْتَ بمعـــــــــروف وأَوْصَيْتَ كافيا

ويزهو طرفة بن العبد البكري بما فيه من قيم نفسيّة، تلقّاها أوامرَ من أبيه، فعمل بمقتضاها وأمضاها[١١٢]:

قَدَ امْضَيْتُ هذا من وصيّـــــــة عَبْدَلٍ ... ومثلُ الذي أوصـــــــى به عَبْدَلٌ أُمضي

وبَعْدُ

فالوصيّة هي خلاصة حياة المرء، وآخرُ ما يقدّمه إلى أَبنائه أو أبناء مجتمعه في حياته أو نهايتها، بعد أن اختبر الحياة بكلّ ما فيها من حلو ومُرّ. فأوصاه بإعزاز الجار، وحماية الضعيف، وإعانة الملهوف، وقرى الضّيف، وغير ذلك من القيم الإنسانية والنفسيّة، التي تصنع من الأبناء رجالاً أفذاذا.

ويَلفتُ نظرَ الدارس لهذه الوصايا أَنّه لم يَجِدْ أحداً من الموصين أوصى ابنه بالعكوف على عبادة الأوثان والأصنام، كما لم يَجِدْ أحداً أوصى ابنه بوأد البنات، ولا بشرب الخمرة، ممّا يدل على أنّها كانت عاداتٍ

مكروهةً عند عقلاء المجتمع ومفكّريه[١١٣].

وجاء الإسلام فأقرّ الوصيّة بعد أن أضاف إليها التّركة، وكيفيّة قسمتها، بَعْدَ إيفاء الدَّيْن، وإعطاء ذي القُرْبى منها وتبرئة ذمّة صاحبها، وألزم الموصى له بتنفيذها وعدم تبديل شيء منها، فقال جَلّ من قائل[١١٤]: ﴿كُتبَ عليكم إذا حضَرَ أحدَكُمُ الموتُ إنْ تركَ خَيْرا الوصيّةُ للوالدين والأقربين بالمعروف حقّا على المتّقين﴾ وقال جَلْ وعلا[١١٥]: ﴿من بعد وصيّة توصون بها أو دَيْن﴾.

الهوامش

(١) الحاوي، إيليّا: في النّقد والأدب، ١/ ٩٠.
(٢) ديوان حسان بن ثابت، ص٢٧١-٢٧٢.
(٣) دعبيس، سعد: قراءة متعاطفة مع الشّعر الجاهلي، ص١٧٢.
(٤) الجندي، درويش: ظاهرة التكسّب وأثرها في الشّعر العربي ونقده، ص٩.
(٥) الرّاوي، مصعب: الشّعر العربي قبل الإسلام بين الانتماء القبلي والحسّ القومي، ص٢٣.
(٦) القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق: العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، ١/ ١٠.
(٧) العلوي، المظفّر بن الفضل: نضرة الإغريض في نصرة القريض، ص٣٥٦.
(٨) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ٣/ ٩٩-١٠٠.
(٩) الضبّي، أبو عكرمة المفضّل بن محمد بن يعلى: المفضليّات، ق١١٦، ص٣٨٤-٣٨٥.
(١٠) المصدر نفسه: ق١٢٣، ص٤٠٩-٤١٠.
(١١) العسكري، أبو هلال: ديوان المعاني، ١/ ١٤٩.
(١٢) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي: الإصابة في تمييز الصّحابة، ٢/ ١٨٣.
(١٣) المفضليّات: ق٢٧، ص١٤٥-١٤٧.
(١٤) المصدر نفسه، ص٣٨٥ (الهامش).
(١٥) الغندجاني، أبو محمد الأعرابي: فرحة الأديب، ص٦٢.
(١٦) البكري، عبد الله بن عبد العزيز: فَصْل المقال في شرح كتاب الأمثال، ص٢٤١.
(١٧) ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، ق٦٢، ص٣٥٩.
(١٨) المصدر نفسه، ق١٤، ص١٦٣.
(١٩) القالي، أبو عليّ إسماعيل بن القاسم: كتاب ذيل الأمالي والنّوادر، ص٢١.
(٢٠) المصدر نفسه، ص٢٢.
(٢١) ابن هشام: أبو محمد عبد الله: سيرة النّبي صلّى الله عليه وسلّم، ١/ ٢٢٢.
(٢٢) المصدر نفسه، ٢/ ١٥٦.
(٢٣) ابن عبد البَرّ، أبو عمر يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٤/ ١٧٣٦.
(٢٤) يعقوب، عبد الكريم: أشعار العامريّين الجاهليّين، ص٢٧.
(٢٥) المفضليّات، ق١١٦، ص٣٨٤.
(٢٦) المصدر نفسه، ق٢٧، ص١٤٦.
(٢٧) البحتري، أبو عبادة الوليد بن عُبَيْد: حماسة البحتري، ص١٦٠.

(٢٨) ابن أَبي الصَلْت، أُميّة: ديوان أُميّة بن أبي الصّلْت، ص٦٣.
(٢٩) ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ١/ ٢١-٢٢.
(٣٠) ديوان عبيد بن الأبرص، ص٥٥.
(٣١) الآلوسي، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ٢/ ٣٠٩.
(٣٢) العتوم، علي: قضايا الشعر الجاهلي، ص٤٣٨.
(٣٣) البغدادي، أبو جعفر محمد بن حبيب: المحبّر، ص٣٢٣.
(٣٤) الشّهرستاني، أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر: المِلَل والنِّحَل، ٣/ ٨٩.
(٣٥) الآلوسي، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ٢/ ٣٠٩.
(٣٦) علي، جواد: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٦/ ١٣٠.
(٣٧) الآلوسي؛ محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ٢/ ٣٠٩ فوَز الرّجل: مات. الصّوى: الأعلام من الحجارة، الواحدة صَوة.
(٣٨) الدّسوقي، عمر: الفتوّة عند العرب، ص٦٠.
(٣٩) أبو تمّام، حبيب بن أوس: ديوان الحماسة، ٤/ ١٦٣٥-١٦٣٦.
الحميت: زقّ السّمن. الجدجد: دويبة تشبه الجراد. والمعنى احفظ السمن في الزقّ للأضياف والطارقين.
(٤٠) ديوان الأسود بن يعفر، ص٤٥.
أبو تيحان هو ابن بَلْج بن جرول بن نهشل، كان بينه وبين الأسود بن يعفر، مهاجاة. الديوان: ٤٤.
(٤١) المفضليّات، ق١١٦، ص٣٨٤.
(٤٢) المفضليّات، ق١٢٣، ص٤١٠.
الكور: كور الرّحل، وهو خشبته وأدواته، يقول: احفظ جارك وضيفك في الوقت الذي لا يحفظ فيه جار، ولا يقرى ضيف، لشدّة الزمان، فيرمي بأكوارهم وراء البيت.
الأشعث: اليابس، وأصله من جفوف الشّعر، لفقد الدهن.
جرّفته: أذهبتْ ماله. العوان: التي ليست بأوّل، يعني مصيبة نزلتْ به مرّة بعد مرّة. لا ينهنهها: لا يردّها، الفتور: السكون. يسير: يسير قوله في النّاس.
(٤٣) المصدر نفسه، ق١٢٧، ص٤٣٠.
حبا: دنا واعترض. من دونها: من دون الإبل. عالج: رمل بين الشّأم والكوفة. الكَسْع: أن يضع على ضرعها الماء البارد ليرتفع اللبن، لتسمن الإبل. الشّول: الإبل التي شوّلتْ ألبانها، أي ارتفعت. الغبر: بقية اللبن في الضّرع. النّاتج: الذي يلي نتاج الإبل وغيرها.
الوالج: الذي يلج في ظهورها من اللّبن.
تاح: عرض. خالج: موت يخلجه، يذهب به. الترقيح: إصلاح المال. يعيث: يفسد. الهمج: البعوض.
(٤٤) زناتي، محمود سلام: نُظُم العرب قبل الإسلام، ص١١٣.
(٤٥) الحموي، الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت: معجم البلدان، مادّة "أُجَيْرَة"، ١/ ١٠٦.
(٤٦) السّمرة، محمود وآخرون: الأدب العربي من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر العباسي، ص٤١١.
(٤٧) السّجستاني، أبو حاتم: المعمّرون والوصايا، ص٣٨.
(٤٨) ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، ق٦٦، ص٣٨١.
(٤٩) المصدر نفسه، ق١٧، ص١٨٧.
(٥٠) المصدر نفسه، ق٦٦، ص٣٨١.

(٥١) العامري، لبيد بن ربيعة؛ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ص٣٢٤-٣٢٦.
(٥٢) أبو عبيدة؛ معمر بن المثنى؛ كتاب النقائض، نقائض جرير والفرزدق، ٢/ ٦٥٤.
(٥٣) جاد المولى؛ محمد أحمد؛ أيام العرب في الجاهلية، ٢٣.
(٥٤) المرجع نفسه؛ ٢٥.
(٥٥) الأصفهاني؛ أبو الفرج؛ الأغاني، ٩/ ٥٧.
(٥٦) عبد الجابر؛ سعود؛ شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم، ٩٨.
(٥٧) "شعر زهير بن أبي سلمى، ١٤٠.
(٥٨) أنظر في ذلك:
- ديوان دريد بن الصمّة الجشمي، ٩٧.
- ديوان الحماسة، شرح التبريزي، ١/ ١١٤.
فقد رسم عديّ بن يزيد السكوني لوحة آسرة، تخلب اللبّ، صوّر فيها رعاية بني شيبان للجار، واهتمامهم به، ومراعاة حالته النفسية ...
- ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، ١٤٨-١٤٩.
فقد صوّر بشر بن أبي خازم جار أوس بن حارثة الطائي أكثر أمنا من وعل متحصّن في رؤوس الجبال.
- ديوان الحطيئة، ٢٠١-٢٠٢.
(٥٩) - القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم؛ كتاب الأمالي، ٢/ ٩٨.
- ديوان الطفيل الغنوي؛ ٩٨
يدعو الطّفيل الغنوي الله أن يجزي بني جعفر خير الجزاء لوقوفهم إلى جانب الغنويين، حين زلجت أقدامهم، فرحّبوا بمقدمهم، وأحسنوا وفادتهم، وأكرموا مثواهم، وأسكنوهم في حجرات، أدفأتهم شتاءً، وأظلّتهم صيفاً، وخلطوهم بالنفوس، وساووهم بساداتهم، فانعقدت بينهم الألفة، وازدادت المحبة، وتحمّلوهم فترة إقامتهم بين ظهرانيهم، ولو أنّ أُمّهم لاقت في سبيل ذلك ما لاقاه بنو جعفر لملّت إقامتهم، ولسئمت مكثهم ...
(٦٠) سورة النّساء، آية ٣٦.
(٦١) ابن هشام؛ سيرة النّبي صلى الله عليه وسلم، ١/ ٣٩١.
(٦٢) المصدر نفسه، ١/ ٣٩١.
(٦٣) المصدر نفسه، ١/ ٤٠٦.
(٦٤) سورة التّوبة، آية ٦.
(٦٥) الإمام النووي الدمشقي، أبو زكريّا يحيى بن شرف؛ رياض الصّالحين، ص١٥٢.
(٦٦) المصدر نفسه، ص١٥٣.
(٦٧) المفضليّات، ق٢٧، ص١٤٦-١٤٧.
(٦٨) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر؛ الحيوان، ٤/ ١٦٧.
(٦٩) ديوان كعب بن زهير، ص١٨٨.
(٧٠) نجمة سعيد زايد؛ حركة الشّعر في قبيلة طيء في العصر الجاهلي، ص١٢٤.
(٧١) المرجع نفسه، ص١٢٤.
(٧٢) ديوان عدي بن زيد العبادي، ص١٠٥.
فاكَهْتَ؛ ما زحتَ. لا تَلَعْ؛ لا يَجزع، ولا تضجر. تزنّد؛ ضاق بالجواب، ورجل مزنّد؛ سريع الغضب.
(٧٣) المصدر نفسه، ص١٠٧.

(٧٤) المصدر نفسه، ص١٠٧.
(٧٥) السّجستاني، أبو حاتم: المعمّرون والوصايا، ص١٢٢.
(٧٦) ديوان الحماسة، شرح المرزوقي، ١١١٩/٣.
(٧٧) ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ١٥٦/٢.
(٧٨) ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، ق٦٦، ص٣٧٩.
(٧٩) المصدر نفسه، ق٦٦، ص٣٨١.
(٨٠) ديوان كعب بن زهير، ص٢٠٩.
(٨١) الجادر، محمود عبد الله: شعر أَوس بن حجر ورواته الجاهليّين دراسة تحليليّة، ص٤٦٨.
(٨٢) الأصفهاني، أبو الفرج: الأَغاني، ٨٢/١٤.
(٨٣) المفضليّات، ق١١٦، ص٣٨٥.
(٨٤) المصدر نفسه.
(٨٥) المصدر نفسه.
(٨٦) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ١٠٠/٣.
(٨٧) أَمين، أَحمد: كتاب الأخلاق، ص٧٣.
(٨٨) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ١٠٠/٣.
الثّميلا: السُمّ الناقع. الفضول: جمع فضل.
(٨٩) الأصفهاني، أبو الفرج: الأَغاني، ١٠٠/٣.
(٩٠) المصدر نفسه، ١٠٠/٣.
(٩١) المصدر نفسه، ١٠١/٣.
القَرْم: من الفحول الذي يترك من الركوب والعمل ويودع للضّراب. والقَرْم من الرّجال: السيّد المعظمّ، والجمع قُروم. خطر في مشيته: اهتزّ، وتبختر، وخطر بذنبه: رفعه مرة وخفضه أخرى. تخاطرت الفحول بأذنابها: حركتها للتّصاول. الخصيل: الذّنب. هصر فلان الشيء: كسره. وهصر الحيوانُ رأس الفريسة: افترسها. التّليل: العنق، والجمع تُلُل وتلائل. الفادحة: النازلة.
(٩٢) المصدر نفسه، ١٠١/٣.
شحط: بعد. الزّميل: الرّفيق في العمل أو السفر.
(٩٣) ديوان حسّان بن ثابت، ص٢٧٨.
(٩٤) المفضليّات، ق١٢٣، ص٤٠٩.
(٩٥) العسكري، أبو هلال: كتاب جمهرة الأمثال، ٧١/١.
(٩٦) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ٨٢/١٤.
(٩٧) العسكري، أبو هلال: ديوان المعاني، ١٤٩/١.
(٩٨) الأخفش الأصغر: كتاب الاختيارين، ص٢٧٧.
(٩٩) المصدر نفسه: ص٢٧٧-٢٧٨.
(١٠٠) البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد: حماسة البحتري، ص١٠٣.
(١٠١) الأندلسي، ابن سعيد: نشوة الطّرب في تاريخ جاهليّة العرب، ٦٠٨/٢.
(١٠٢) شرح ديوان الحماسة، ٧٣٧/٢-٧٣٨.
(١٠٣) ديوان حسّان بن ثابت، ص٧٩.

(١٠٤) السَجستاني؛ أبو حاتم: المعمرَون والوصايا، ١٣٢.
(١٠٥) البكري؛ عبد الله بن عبد العزيز: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ١/٣٣.
يترَص: يسوّي
(١٠٦) المصدر نفسه: ١/٣٣-٣٤.
(١٠٧) ديوان الحماسة، شرح المرزوقي: ٣/١١٩٠ وما بعدها.
(١٠٨) ناجي، حمدي محمود: حركة الشّعر في قبيلة ضبّة في الجاهليّة وصدر الإسلام، ص١٠٦.
(١٠٩) السَمرة، محمود وآخرون: الأدب العربي من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر العباسي، ص٤١٤.
(١١٠) ديوان كعب بن زهير، ص٦٨.
(١١١) ديوان حسّان بن ثابت، ص٢٨٢.
(١١٢) البكري، طرفة بن العبد: ديوان طرفة بن العبد، ص١٧٠.
(١١٣) حرّم كثير من عقلاء المجتمع الجاهلي الخمرة على أنفسهم، أنظر:
المحبر: ٢٣٧-٢٤٠. والأمالي ١/٢٠٤-٢٠٥.
(١١٤) سورة البقرة، آية ١٨٠.
(١١٥) سورة النّساء، آية ١١.

المراجع

١- القرآن الكريم.
٢- الآلوسي، محمود شكري: "بلوغ الأَرب في معرفة أَحوال العرب"، شَرْح وضَبْط محمّد بهجة الأَثري، الطبعة الثانية، دار الكتب العلميّة، د.ت.
٣- ابن الأَبرص، عَبيد: "ديوان عَبيد بن الأَبرص"، دار صادر، بيروت، د.ت.
٤- الأخفش الأَصغر: "كتاب الاختيارين"، تحقيق د. فخر الدين قباوة، الطّبعة الثّانية، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، (١٩٨٤).
٥- الأَصفهاني، أَبو الفرج: "الأَغاني"، تحقيق أحمد زكي صفوت، القاهرة، دار الكتب المصريّة، نشرت أجزاؤه (١٩٣٨-١٩٥٨).
٦- الأَعشى الكبير، ميمون بن قيس: "ديوان الأَعشى الكبير ميمون بن قيس"، شرح وتعليق د. محمد محمد حسين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (١٩٧٢).
٧- أَمين، أَحمد: "كتاب الأخلاق"، الطّبعة الرابعة، دار الكتب المصريّة، القاهرة، (١٩٣٣).
٨- الأَندلسي، ابن سعيد: "نشوة الطّرب في تاريخ جاهليّة العرب"، تحقيق نصرت عبد الرّحمن، مكتبة الأَقصى، عمّان الأردن، (١٩٨٢).
٩- البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد: "حماسة البحتري"، دار إحياء الكتاب العربي، بيروت، (١٩٦٧).
١٠- البغدادي، أبو جعفر محمد بن حبيب: "المحبّر"، رواية أبي سعيد السكّري، وقد اعتنى بتصحيح هذا الكتاب الدكتوره إيلزه ليختن شتيتر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.
١١- البكري، طرفة بن العبد: "ديوان طرفة بن العبد"، شَرْح الأَعْلَم الشَّنْتَمرَيّ، تحقيق دريّة الخطيب ولطفي الصقّال، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، مطبعة دار الكتاب، (١٩٧٥).
١٢- البكري، عبد الله بن عبد العزيز: "فصل المقال في شرح كتاب الأمثال"، تحقيق د. إحسان عبّاس، مؤسّسة الرّسالة، (١٩٨١).
١٣- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، حقّقه وضبطه مصطفى السقّا، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٣.

١٤- ابن ثابت، حسّان: "ديوان حسّان بن ثابت"، تحقيق د. سيّد حنفي حسنين، دار المعارف بمصر، د.ت.
١٥- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: "الحيوان"، تحقيق عبد السّلام محمد هارون، الطّبعة الثّالثة، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٩٦٩).
١٦- الجادر، محمود عبد الله: "شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليّين دراسة تحليلية"، دار الرّسالة للطّباعة، بغداد، (١٩٧٩).
١٧- الجندي، درويش: "ظاهرة التكسّب وأثرها في الشّعر العربي ونقده"، دار نهضة مصر للطباعة والنّشر، الفجالة – القاهرة، (١٩٧٠).
١٨- الحاوي، إيليّا: "في النّقد والأدب"، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (١٩٧٩).
١٩- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن عليّ: "الإصابة في تمييز الصّحابة"، تحقيق محمد علي البجّاوي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٦٢).
٢٠- الحطيئة: ديوان الحطيئة، رواية ابن حبيب، شرح أبي سعيد السكري، دار صادر، بيروت، د.ت.
٢١- الحموي، الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت: "معجم البلدان"، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، الطبعة الأُولى، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، (١٩٩٠).
٢٢- الدّسوقي، عمر: "الفُتُوّة عند العرب"، لجنة البيان العربي، القاهرة، (١٩٥١).
٢٣- ابن أبي خازم، بشر: ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، عُني بتحقيقه د.عزة حسن، دمشق، ١٩٦٠.
٢٤- دعبيس، سعد: "قراءة متعاطفة مع الشّعر الجاهلي"، الطّبعة الأولى، الصّدر لخدمات الطّباعة، مدينة نصر، (١٩٨٩).
٢٥- الرّاوي، مصعب: "الشّعر العربي قبل الإسلام بين الانتماء القبلي والحسّ القومي"، الطّبعة الأُولى، (١٩٨٩).
٢٦- زايد، نجمة سعيد: "حركة الشّعر في قبيلة طيّء في العصر الجاهلي"، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، (١٩٧٦).
٢٧- زناتي، محمود سلام: "نُظُم العرب قبل الإسلام"، د.م، (١٩٩٢).
٢٨- ابن زهير، كعب: "ديوان كعب بن زهير"، صنعة الإمام أبي سعيد الحسن بن الحسين السكّري، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه د. حنّا نصر الحتّي، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، (١٩٩٦).
٢٩- السّجستاني، أبو حاتم: "المعمّرون والوصايا"، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (١٩٦١).
٣٠- ابن أبي سُلمى، زهير: شعر زهير بن أبي سملى، صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق د.فخر الدين قباوة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٩٢.
٣١- السّمرة، محمود وآخرون: "الأدب العربي من العصر الجاهلي حتّى نهاية العصر العبّاسي"، الطبعة الثّانية، سلطنة عُمان، وزارة التّربية والتّعليم والشّباب، (١٩٩٠).
٣٢- ابن أبي الصّلْت، أميّة: "ديوان أميّة بن أبي الصّلْت"، جمعه ووقف على طبعه بشير يموت، الطبعة الأُولى، المكتبة الأهليّة، بيروت، (١٩٣٤).
٣٣- ابن الصمّة الجشمي؛ دريد: ديوان دريد بن الصمة الجشمي، جمع وتحقيق محمد خير البقاعي، دار قتيبة، ١٩٨١.
٣٤- الشّهرستاني، أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر، "المِلَل والنِّحَل"، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، القاهرة، مؤسّسة الحلبي وشركاه للنّشر والتّوزيع، د.ت.
٣٥- الضّبّي، أبو عكرمة المفضّل بن محمد بن يعلى: "المفضليّات"، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السّلام محمّد هارون، الطّبعة الثامنة، دار المعارف بمصر.
٣٦- العامري، لبيد بن ربيعة: "شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري"، حقّقه وقدّم له د. إحسان عبّاس، الكويت، (١٩٦٠).
٣٧- العبادي، عديّ بن زيد: "ديوان عدي بن زيد العبادي"، تحقيق وجمع محمد جبّار المعيبد، شركة دار الجمهورية للنّشر والطّبع، بغداد، (١٩٦٥).
٣٨- ابن عبد البَرّ، أبو عمرو يوسف بن عبد الله: "الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، تحقيق علي محمد البجّاوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، د.ت.
٤٠- عبد الجابر؛ سعود: شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم، دراسة وتحقيق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤.

٤١- أبو عبيدة: معمر بن المثنى: كتاب النّقائض نقائض جرير والفرزدق، ليدن، ١٩٠٥، طبعة مصوّرة بالأوفست.
٤٢- العسكري، أبو هلال: "ديوان المعاني"، شرحه وضبط نصّه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (١٩٩٤).
٤٣- "كتاب جمهرة الأمثال"، حقّقه وعلّق حواشيه ووضع فهارسه محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، الطّبعة الثانية، دار الجيل، بيروت، (١٩٩٨).
٤٤- العلوي، المظفّر بن الفضل: "نضرة الإغريض في نصرة القريض"، تحقيق د. نهى عارف الحسن، دمشق، (١٩٧٦).
٤٥- علي، جواد: "المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، الطّبعة التّاسعة، دار العلم للملايين، بيروت، (١٩٧٦).
٤٦- الغندجاني، أبو محمد الأعرابي، "فرحة الأديب"، تحقيق محمد علي سلطاني، دار قتيبة، د.ت.
٤٧- القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم: "كتاب ذيل الأمالي والنّوادر"، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.
٤٨- تاب الأمالي، دار الفكر، بيروت، د.ت.
٤٩- القيراوني، أبوعلي الحسن بن رشيق: "العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده"، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، (١٩٥٦).
٥٠- جاد المولى؛ محمد أحمد: أيّام العرب في الجاهلية، مطبعة عيسى الحلبي، مصر، د.ت.
٥١- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري: "مجمع الأمثال"، حقّقه وفصّله وضبط غرائبه وعلّق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
٥٢- ناجي، حمدي محمود: "حركة الشّعر في قبيلة ضبّة في الجاهلية وصدر الإسلام"، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، (١٩٩٠).
٥٣- الإمام النّووي الدّمشقي، أبو زكريّا يحيى بن شرف: "رياض الصّالحين"، حقّقه وخرّج أحاديثه عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقّاق، راجعه الشيخ سعيد الأرناؤوط، دار المأمون للتّراث، طبعة ثانية منقّحة، دمشق، د.ت.
٥٤- ابن هشام، أبو محمد عبد الله: "سيرة النبي r"، راجع أصولها وضبط غريبها، وعلّق حواشيها، ووضع فهارسها المرحوم الشيخ محمّد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والتوزيع، د.ت.
٥٥- ابن يعفر، الأسود: "ديوان الأسود بن يعفر"، صنعة نوري حمّودي القيسي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، (١٩٧٠).
٥٦- يعقوب، عبد الكريم: "أشعار العامريّين الجاهليّين"، الطّبعة الأولى، دار الحوار، سوريا - اللاذقية، (١٩٨٢).